

العنوان:	التطبيب للجمال ولحياة جنسية افضل في كتاب حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار للطبيب الوزير الغساني 11 هـ / 17 م
المصدر:	أعمال اليوم الدراسي: مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب - أعمال تكريمة مهدة للأستاذ السعيد لمليح
الناشر:	الجمعية المغربية للبحث التاريخي
المؤلف الرئيسي:	أستيتو، محمد
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	231 - 261
رقم MD:	881247
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الظواهر الطبيعية، الكوارث الطبيعية، كتاب حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، الغساني ، قاسم بن محمد بن إبراهيم ، المغرب العربي، الأوضاع الديموغرافية، الموارد البشرية □
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/881247

التطبيب للجمال ولحياة جنسية أفضل في كتاب "حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار" للطبيب الوزير الغساني 11هـ / 17م

* محمد استيتو

تبين، من خلال معظم الدراسات والأبحاث، التي أنجزت حول الكوارث الطبيعية والأزمات المختلفة في تاريخ المغرب، وهي قليلة¹، أن تلك الكوارث والأزمات كثيرا ما كانت تنعكس سلبا على الوضع الديمغرافي للبلاد، لما كانت تخلفه غالبا من خسائر بشرية فادحة ونزيف بشري شديد، وذلك ليس فقط من شدة حدتها، ولكن

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية -وجدة

1 - راجع على التوالي الدراسات التالية، التي أنجزت بعد الاستقلال، وذلك بحسب تاريخ إنجازها أو صدورها: Bernard ROSENBERGER et Hamid TRIKI, «Famines et épidémies au Maroc aux XI^e et XVII^e siècles», Hespéris-Tamuda, vol. XIV, fasc un, 1973 et vol. XV, fasc. un, 1974.

* محمد استيتو، الكوارث الطبيعية في تاريخ مغرب القرن السادس عشر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز-فاس، نوقشت بتاريخ 12 / 9 / 1988. (مرقونة).

* محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

* سميرة المزلكلي، المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (534-776هـ / 1139-1375م)، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز-فاس، السنة الجامعية 2003-2004. (مرقونة).

* بوجمعة رويان، الطب الاستعماري الفرنسي في المغرب (1912-1945)، دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، نوقشت بتاريخ 22-7-2004. (مرقونة) (نشرت مؤخرا).

* عبد الهادي البيضاء، الكوارث الطبيعية وأثرها في أنماط سلوك الإنسان بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط (القرن 6-8هـ / 12-14م): مساهمة في دراسة أثر التغيرات المناخية في الذهنيات، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، نوقشت بتاريخ 23 / 10 / 2007. (مرقونة).

وهناك عدد آخر من المقالات في الموضوع، غير أنها ما تزال، هي كذلك، قليلة، ونحيل هنا بصفة خاصة على أعداد المجلات والدوريات التالية:

- عدد خاص عن «الديمغرافيا التاريخية»، مجلة كلية الآداب بوجدة، العدد 6، 1996.

- «التغذية والأزمة في تاريخ المغرب». أصل: التاريخ، الثقافة، المجتمع، العدد 17، 1999.

- «الديمغرافيا في تاريخ المغرب»، كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، العدد 1، 1999.

- «قضايا في الديمغرافيا التاريخية»، كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، العدد 2، 2000.

- «الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة»، كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، العدد 3، 2001.

- «الديمغرافيا التاريخية في أدب المناقب والتراجم والفهارس»، كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، العدد 4، 2002.

- «المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة والجمعية المغربية للبحث التاريخي، سلسلة ندوات ومناظرات، عدد 4، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004.

بسبب كثرة "زياراتها" في فترات متقاربة². وقد تبين من نتائج تلك الأعمال أن أعداد السكان عرفت، على المديين المتوسط والبعيد، شبه ركود؛ بل إنها عرفت أحيانا بعض التراجع.

واللافت للانتباه أن الباحثين لم يفتهم أن يبرزوا الجهود المضنية التي كانت تُبذل في سبيل مواجهة تلك الكوارث المختلفة، أو أن يتناولوا، بالتفصيل والتحليل، العديد من الوسائل والتدابير الاحتياطية المتاحة، التي كانت تتخذ أو تعتمد لتفادي هذه الفواجع، أو لتجاوز انعكاساتها، أو للحد من آثارها السلبية، ولاسيما انعكاساتها على الوضع الديمغرافي، رغم أن تلك الوسائل والتدابير لم تكن دائما ذات جدوى³. ولكن هؤلاء الباحثين لم يلتفتوا - في المقابل - إلى تلك الجهود الكبيرة التي كانت تتخذ في أعقاب الأزمات، على أصعدة عديدة، وعلى الصعيد الديمغرافي تحديدا، في سبيل البحث عن حلول مناسبة وناجعة، وفورية إذا أمكن، لتعويض الخسائر البشرية، ما دام أن العنصر البشري هو الرأسمال الحقيقي لاستمرارية أي مجتمع⁴.

ونرجح أن هذه الجهود كانت تركز، في المقام الأول، على تنشيط مؤسسة الزواج من خلال العمل على إعادة ترتيب أوضاع البيوت والأسر المتضررة من فقدان أحد عناصر تكاثرها (زوج أو زوجة)، وذلك بتزويج الأرامل من الرجال والنساء، وتبرير الحاجة إلى التعدد، أو بتشجيع غير المتزوجين والعزّاب على الزواج، ولو في سن مبكر، حتى تكتمل الشروط الموضوعية للمباشرة الجنسية بهدف الإنجاب والتناسل الطبيعي داخل المؤسسة الشرعية. ولكن يبدو أن هذه التدابير لم تكن كافية ولا كفيلة وحدها لتعطي الثمار المرجوة منها إلا بعد إحراز تقدم كبير في الرفع من معنويات المصدومين والحيارى، والمكلومين والمنهكين، والمحبطين والمرضى نفسيا، وتجاوز بواعث الاضطراب والقلق والهواجس التي تسيطر على الناس عادة في مثل تلك الظروف العويصة، لأن دواعي القلق والإنهاك والمرض تشغل عن سبل الكسب، وتنفر غالبا من الالتفات إلى

2- راجع الأعمال الواردة ذكرها في الإحالة قبله.

3- مثلا، كانت أوبئة كثيرة -كالطاعون- مجهولة أسبابها ومصادرها وطرق علاجها. لذلك، لم يكن من سبيل لمواجهةها إلا الاستسلام أمامها أو الفرار منها، وهو ما كان يزيد من انتشار الوباء بنقل العدوى من بلد موبوء إلى آخر سليم.

4- للتذكير، فإن الكوارث الطبيعية المختلفة ومنها المجاعات والأوبئة والحروب كلها ظواهر طبيعية وبشرية تحد من ظاهرة التناسل الطبيعي ومن التكاثر، غير أن هناك عوامل أخرى قد تكون من نتائج هذه الكوارث كما قد تكون منفصلة عنها تؤثر هي أيضا في قدرة الإنسان على التناسل مثل الهم والغم والإحباط النفسي، وعدم القدرة على مواجهة مشاكل الحياة والاستسلام لمتابعتها، علاوة على الرهبانية، وسياسة تحديد النسل، والعزوبة والعنوسة، وتأخير سن الزواج لأسباب تشريعية أو قانونية أو اقتصادية أو اجتماعية، وزواج المثيل، والعزوف عن الإنجاب لعدم القدرة على تحمل مسؤولية تربية الأطفال والإنفاق عليهم، كلها "أوبئة" تحد من ظاهرة التناسل الطبيعي لإعمار الأرض.

الحياة وإلى مباحثها وملذاتها، ومن بينها الرغبة في الجنس، الذي هو أساس التناسل والتكاثر. ومعلوم أن المباشرة الجنسية قد لا تثمر دائماً حملاً في ظل القلق والاضطراب النفسي، ولا تساعد على الإنجاب حتى لو انتفت العيوب والأمراض المسببة للعقم.

لذلك فالراجح أن المجتمع كان يبذل قصارى الجهود من أجل طمأنة النفوس، وإعادة الثقة للناس في قدرتهم على الانتعاش من جديد، وعلى الاستمرار في التناسل للتكاثر، بنكاح الرجال ما طاب لهم من النساء، وقبول النساء نكاح ما يطيب لهن من الرجال؛ ﴿فَالْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁵. ولتحقيق هذه الأغراض والأهداف، يبدو أنه كان يتم الاعتماد على استغلال المقومات الذاتية المتاحة للأفراد والجماعات، أو على الاستئناس بالخطاب الديني والروحي للمرجعيات، والاطمئنان للقضاء والقدر، أو على ما شابه ذلك مما يبعث الآمال في النفوس المنهكة ويحييها بعد موتها المعنوي، ويذكرها بأهمية دورها ووظيفتها في إعمار الأرض عن طريق الكسب والتناسل والتكاثر. وهذا ما نجد صداه في العديد من المظان وأجناس التأليف، التي يمكن اعتمادها لتناول هذا الموضوع، وما يهمننا منها، في هذا المقام، تلك التي تتطرق إلى الجنس - أو أنه يتسلل إلى ثناياها - بشكل واع وهادف، بنية السمو بالعلاقة الزوجية والعاطفية نحو الأفضل، أو بهدف التحريض على التناسل والتكاثر للتغلب على الفواجع والانعكاسات السلبية التي تخلفها آفات الكوارث على المستوى الديمغرافي خاصة.

أولاً - الحياة الجنسية بين "حديقة الغساني" وأجناس أخرى موازية

غني عن القول إنه إذا كان تكاثر الناس يستدعي بالضرورة الحاجة إلى ممارسة الجنس؛ فإن المرء لا يحتاج بالضرورة إلى الجنس فقط من أجل التكاثر، وإلا تحولت العملية الجنسية لديه إلى مجرد آلية ميكانيكية لا تصلح إلا للإنجاب الطبيعي، تماماً كما هو الحال في عالم الحيوان؛ بل إن ممارسة الجنس، بالنسبة للإنسان، قد تكون، في كثير من الأحيان، من أجل البحث عن اللذة والمتعة الجنسية والعاطفية أكثر من أي شيء آخر، ولنا في اعتماد تحديد النسل، الذي يلجأ إليه الأزواج أو الأسر قبل الدول،

5- لقله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. النساء، الآية 3. (اعتدنا في هذا العمل رواية الإمام ورش) والملاحظ بهذه المناسبة أن من المغرضين من يحتج بهذه الآية ويعتبرها مجحفة في حق المرأة لأن الخطاب - في زعمهم - موجه للرجال وحدهم؛ إذ هم وحدهم المعنيون بنكاح ما طاب لهم من النساء، ولم يفهموا أن الآية تشمل ضمناً النساء أيضاً، ذلك لأن من تطيب له امرأة فلا بد له من التقدم لخطبتها، ولا توافق المرأة إلا على من رضاه لنفسها ويطيب لها وإلا فإنها لا تطيب له ما لم يطب هو لها.

6- سورة الكهف، الآية 46.

من دون التخلي عن الاستمتاع بالحياة العاطفية والجنسية، خير مثال على زعمنا هذا. كما لنا أيضا في الحضور القوي للجنس في مصادر التراث الإنساني عموما، المحفوظ منه بالتدوين أو النحت أو الرسم، أو المنقول إلينا عبر التراث الشفهي، وفي تراثنا العربي-الإسلامي خصوصا، وكذا في ممارسة الحياة اليومية للشعوب، ما يؤكد أهمية هذه الغريزة الطبيعية في النفس البشرية كآلية للاستمتاع أكثر منها عملية للإنجاب⁷. ولذلك فإن هذه المصنفات تتناول الجنس كعملية راقية في العلاقات العاطفية للإنسان، خضعت للتطور والتهديب حتى غدت هناك "ثقافة جنسية" لها آداب قابلة للتعليم والتنظيم. وجدير بالذكر أن الكتب السماوية تعتبر من بين أهم تلك المصنفات التي يرجع لها الفضل في إشاعة آداب تلك الثقافة؛ بل وتنظيمها وفق ضوابط شرعية تراعي أصالة الأنساب وعدم اختلاطها، لذلك حرمت كل علاقة جنسية خارج مؤسسة الزواج⁸، وإن كانت هناك عدة قصص وردت في بعض من هذه الكتب لا تخلو من صور خارجة عن تلك الآداب، كما في عدة أسفار بالعهد القديم من "الكتاب المقدس"⁹.

7- نذكر هنا نظرة الشعوب المختلفة لممارسة الجنس، خارج مؤسسة الزواج خاصة، وكيف عالجت المشاكل المترتبة عنها كالحمل والإنجاب وما إلى ذلك. ولا شك في أن المجتمعات تعاني كلها من "مشكلة" تعاطي الجنس خارج غطاء شرعي.

8- مثلا جاء في سفر اللاويين، الإصحاح 18/6-30، بخصوص العلائق الجنسية المباحة أو المحرمة ما يلي: «6لا يَقْتَرِبْ إِنْسَانٌ إِلَى قَرِيبٍ جَسَدِهِ لِيَكْشِفَ الْعَوْرَةَ. أَنَا الرَّبُّ. 7عَوْرَةُ أَبِيكَ وَعَوْرَةُ أُمِّكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا أُمُّكَ لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. 8عَوْرَةُ امْرَأَةِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَبِيكَ. 9عَوْرَةُ أُخْتِكَ بِنْتُ أَبِيكَ أَوْ بِنْتُ أُمِّكَ، الْمَوْلُودَةُ فِي الْبَيْتِ أَوْ الْمَوْلُودَةُ خَارِجًا، لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. 10عَوْرَةُ ابْنَةِ ابْنِكَ أَوْ ابْنَةِ ابْنَتِكَ لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. إِنَّهَا عَوْرَتُكَ. 11عَوْرَةُ بِنْتِ امْرَأَةِ أَبِيكَ الْمَوْلُودَةُ مِنْ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. إِنَّهَا أُخْتُكَ. 12عَوْرَةُ أُخْتِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا قَرِيبَةٌ أَبِيكَ. 13عَوْرَةُ أُخْتِ أُمِّكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا قَرِيبَةٌ أُمِّكَ. 14عَوْرَةُ أُخِي أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِلَى امْرَأَتِهِ لَا تَقْتَرِبْ. إِنَّهَا عَمَّتُكَ. 15عَوْرَةُ كُتَيْبِكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا امْرَأَةُ ابْنِكَ. لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. 16عَوْرَةُ امْرَأَةِ أُخِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أُخِيكَ. 17عَوْرَةُ امْرَأَةِ بِنْتِهَا لَا تَكْشِفُ. وَلَا تَأْخُذُ ابْنَةُ ابْنِهَا، أَوْ ابْنَةُ بِنْتِهَا لِيَكْشِفَ عَوْرَتَهَا. إِنَّهُمَا قَرِيبَتَاهَا. 18إِنَّهُ رَذِيلَةٌ. وَلَا تَأْخُذُ امْرَأَةً عَلَى أُخْتِهَا لِلزَّمْرِ لِيَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا.

«19وَلَا تَقْتَرِبْ إِلَى امْرَأَةٍ فِي نَجَاسَةِ طَمَنِّهَا لِيَكْشِفَ عَوْرَتَهَا. 20وَلَا تَجْعَلَ مَعَ امْرَأَةٍ صَاحِبِكَ مَضْجَعَكَ لِزَّرْعٍ، فَتَنْتَجِسَ بِهَا. 21وَلَا تُعْطِ مِنْ زَرْعِكَ لِلْإِجَارَةِ لِمَوْلَاكَ لِئَلَّا تُدْنَسَ اسْمُ إِلَهِكَ. أَنَا الرَّبُّ. 22وَلَا تُصَاحِبْ ذَكَرًا مُصَاحِقَةً امْرَأَةً. إِنَّهُ رِجْسٌ. 23وَلَا تَجْعَلَ مَعَ بَهِيمَةٍ مَضْجَعَكَ فَتَنْتَجِسَ بِهَا. وَلَا تَقِفْ امْرَأَةً أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِنِزَالِهَا. إِنَّهُ فَاحِشَةٌ.

«24يَكُلُّ هَذِهِ لَا تَنْتَجِسُوا، لِأَنَّهُ يَكُلُّ بِكُلِّ هَذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَايَكُمْ 25فَتَنْتَجِسَ الْأَرْضُ. فَأَجْزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، فَتَقْدُفُ الْأَرْضُ سُكَّانَهَا. 26لَكِنْ تَحْفَظُونَ أَنْتُمْ قَرَائِصِي وَأَحْكَامِي، وَلَا تَعْمَلُونَ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الرُّجَسَاتِ، لَا الْوَطَنِي وَلَا الْغَرِيبِ النَّازِلِ فِي وَسْطِكُمْ. 27لَأَنْ جَمِيعَ هَذِهِ الرُّجَسَاتِ قَدْ عَمَلَهَا أَهْلُ الْأَرْضِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَتَنْتَجِسَ الْأَرْضُ. 28فَلَا تَقْدُفُكُمُ الْأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِنَّهَا كَمَا قَدَفَتِ الشُّعُوبُ الَّتِي قَبْلَكُمْ. 29بَلْ كُلُّ مَنْ عَمِلَ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الرُّجَسَاتِ تُقْطَعُ الْأَنْفُسُ الَّتِي تَعْمَلُهَا مِنْ شَعْبِهَا. 30فَتَحْفَظُونَ شَعَائِرِي لِي لَا تَعْمَلُوا شَيْئًا مِنَ الرُّسُومِ الرُّجَسَةِ الَّتِي عَمِلْتُمْ قَبْلَكُمْ وَلَا تَنْتَجِسُوا بِهَا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.»

وورد في القرآن الكريم: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَزَوَّجَتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (23) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ قَرِيبَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاغَبْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمْ

لكن ومع ذلك فإننا نظن أن ممارسة الجنس من أجل اللذة والاستمتاع، من غير الحاجة إلى الإنجاب، هي "ظاهرة"، أو بالأحرى "ثقافة" - قد تكون حديثة - يمكن النظر إليها باعتبارها "ضريبة" للتطور الذي بلغته المدنية¹⁰ نتيجة لمطالبات ظروف الحياة العصرية وتعهدها، أما من قبل فكانت الحاجة إلى الخلف الكثير مما يُرغَّب فيه الدين بالنسبة للمسلمين على الأقل¹¹.

كما كان النسل الكثير في الماضي حاجة ماسة لتكوين العصبية المرهبة والمهابة الجانب، لذلك كان العدد الكثير من الأنفس والسواعد والمحاربين ضرورة ملحة، وكان التباهي به شائعاً ومستساغاً، ليس فقط على مستوى الأسرة؛ بل وأيضاً على مستوى العشيرة والقبيلة وما إلى ذلك. فتأمل في قول عمرو بن كلثوم في معلقاته الشهيرة:

ملأنا البرَّ حتى ضاق بنا *** وظَهَرَ البحرُ فملؤه سفينا

إذا بلغ الفطامُ لنا صبي *** تخرُّ له الجبابرةُ ساجدينا

ومهما يكن من أمر؛ فإن غرضنا، في هذه المناسبة، هو التعريف ببعض المصادر التي يمكن للباحث والمهتم أن يستقي منها معلومات غزيرة وفي غاية من الأهمية، تتعلق بـ"التحريض" على الاستمتاع بالجنس أو بالاستعداد لممارسته في أحسن الظروف وأطيبها، سواء لمجرد الاستمتاع، أم للتناسل والتكاثر لتعويض الخسائر البشرية التي كانت تخلفها الأزمات المختلفة. وهناك، من بين هذه المصادر، الكثير من المصنفات من كتب التراث العربي-الإسلامي، التي منها ما يتناول مسألة الجنس بصفة مباشرة،

الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشَى الْعَذَتِ مِنْكُمْ وَأَنْ تَضُرُّوْا غَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (25) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) النساء، الآيات 23-26.

9- وهذا بالرغم من أن الكتاب المقدس -العهد القديم خاصة- يتناول أحياناً مواضيع جنسية خارجة عن الآداب وتطعن حتى في سلوك بعض الأنبياء وفي أنسابهم، بسبب اتهامهم زوراً بتعاطي الزنا بما فيه زنا المحارم. فقد نسب لابنتي لوط زناهما بأبيهما، فولدت البكر ولدا سمته موآب، وأنجبت الصغيرة أيضاً ابناً سمته بن عمي. (انظر: تكوين، الإصحاح 19 / 30-38). وانظر أيضاً صفحات أخرى، فالعهد القديم من الكتاب المقدس مليء بأخبار زنى الأنبياء المزعوم وغيرهم.

10- تفشت هذه الظاهرة بصفة خاصة في القرن العشرين، وما تزال في تفاقم مستمر، لاسيما في المجتمعات الغربية، وأخذت عدواها تنتقل إلى الدول الأخرى غير المتطورة اقتصادياً، وقد كانت نظريات أو سياسة الحد من النسل كوسيلة لتحقيق التنمية والتوازن الطبيعي بين الموارد وأعداد السكان من بين العوامل والأسباب التي شجعت على هذه الظاهرة.

11- مما يُنسب للرسول صلى الله عليه وسلم، قوله في هذا الصدد: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة». أورده علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حرف النون من قسم الأفعال وفيه كتاب النكاح، الباب الأول: في الترغيب فيه. راجع هذا الباب كله. أما النصارى فمن المعلوم أن أحبارهم وربهانهم يروجون أكثر للزهد في الزواج.

ومنها ما ورد فيها الموضوع عرضاً، لذلك جاء الحديث عنه في هذه المؤلفات المتنوعة مختلفاً، بحسب طبيعة كل صنف من أصناف التأليف ومضمونه. ولهذا لا غرابة إذا كانت هذه المظان تتكامل وتتقاطع في ما بينها بخصوص موضوع الجنس. وسنركز في هذا المقام هنا على صنف كتب العُشب والعقَّار، وبالضبط على أُمُودج "حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقَّار"¹² للطبيب والوزير الغساني (توفي في القرن 11هـ/ 17م)¹³.

يعتبر كتاب "الحديقة" من جنس كتب علم النبات والصيدلة والطب؛ فهو يتناول التعريف بأنواع من الأعشاب والعقَّار، ويحلل طبيعتها، ويبين خصائصها ومنافعها ومضارها، باعتبارها مواد صيدلية وطبية وعلاجية لبعض الأوبئة، وللعديد من التشوهات والعيوب الخلقية والمرضية، ولكثير من الأمراض والعلل. وما يهمنا منها هنا تحديداً تلك التي لها صلة وطيدة بالحياة العاطفية والجنسية وممارسة الجنس؛ وبذلك فإن هذا الكتاب - وغيره مما نسج على منواله - يتكامل ويتقاطع تماماً مع العديد من الأنواع التراثية الأخرى، وكل تأليف في التداعي أو إنتاج أدبي أو ديني أو أخلاقي يتناول ما له علاقة بموضوع الجمال والملوحة، والجنس ولواحقه؛ كدواوين الأشعار وأدب الغزل و"أدب" المجون¹⁴، والموسوعات العربية التي ألفت في المرأة¹⁵، والمؤلفات الموضوعة في آداب النكاح والجماع والمستحب والمكروه من طقوسه¹⁶، وكتب الأدب الجنسي التي تحرّض على الجنس وتعين عليه لعمارة الأرض¹⁷، وكتب تاريخ الأدب الأيروتيكي الذي ينقّب في جيولوجيا قاع الأيروتيتيكية العربية المحظور

12- تحقيق وتعليق وفهرسة محمد العربي الخطابي، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

13- هو أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني، ولد في عام 955هـ وتلقى العلم بفاس، ويرجح أنه مات في عام 1019هـ/ 1611م. راجع الترجمة التي أفردها له محقق حديقة الأزهار، ص. ب-ع.

14- تتناول أشعار الغزل عادة التعلق بالنساء والتغني بحسنهن وجمالهن ومفاتنهن وقُدَهن وقوامهن. ويتناول الشعر والأدب المأجمن الجنس بحرية أكثر، ويعرض لأنواعه المختلفة، من سحاق ولواط كبير وصغير (اللواط الكبير: إتيان المثيل، واللواط الصغير: إتيان الرجل المرأة من دبرها) وأدب الدُّب وما إلى ذلك.

15- منها مثلاً، كتاب تحفة العروس ومتعة النفوس، لمحمد بن أحمد التجاني، تحقيق جليل العطية، ط. 1، رياض الريس للطباعة والنشر، قبرص ولندن، 1992.

16- من مؤلفات المغاربة في هذا المجال، نورد كتاب: أحمد بن الحسن ابن عرضون، مقنع المحتاج في آداب الأزواج. مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم ك 1026. (نشر)

17- من بينها مثلاً، كتاب: رجوع الشيخ إلى صباه في القوة والباه، لأحمد بن سليمان، الشهير بابن كمال باشا، الذي يقول في مطلع تأليفه: «لم أقصد به إعانة الممتنع الذي يرتكب المعاصي؛ بل قصدت إعانة من قُضرت شهوته على بلوغ نيته في الحلال الذي هو سبب لعمارة الدنيا». منشورات سمر للطباعة والنشر، 1994. ويمكن الاطلاع على الكتاب من خلال عدة مواقع إلكترونية أو تحميله.

ويوثق تفاصيلها¹⁸، والكتب الدينية التي تتناول التربية الجنسية وتصحح المفاهيم والتصورات الخاطئة للناس تجاه الجنس وتبين منافعه ومضاره¹⁹، وآداب التهيؤ للجماع²⁰، والمستحب في أوقاته²¹ وأنواعه وأحواله المختلفة²²، وما شابه ذلك من أجناس النظم والتأليف، التي نذكر منها على سبيل الاستئناس، كتباً، مثل: "الإيضاح في أسرار النكاح" للشيرزي (ت. 589هـ/ 1193م)²³، و"نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب" للتيفاشي (ت. 651هـ/ 1253م)²⁴، و"جوامع اللذة" للقزويني (ت. 675هـ/ 1276م)²⁵،

18 - جمال جمعة في مقدمة تحقيقه كتاب: نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، لشهاب الدين أحمد التيفاشي، ط. 1، رياض الرايس للطباعة والنشر، لندن وقبرص، 1992، ص. 35.

19 - انظر: مقدمة مصحح كتاب: جوامع اللذة، لنجم الدين علي بن عمر بن علي الكاتبي القزويني، تصحيح ووضع هوامش، عبد البديع مصطفى عبد البديع، دار البيان العربي، القاهرة، 2002، ص. 3-4.

20 - ينصح مثلاً بعدم تأجيل دخول العريس على عروسه ليلة الزفاف إلى وقت متأخر من الليل، لأن الأفواه قد تنبعث منها روائح غير مستحبة بسبب تناول بعض الأطعمة الدسمة واللحوم التي هي من عوائد أطعمة الولائم. راجع: ابن عريзон، مقتع المحتاج، الباب الثاني: في آداب الدخول، الفصل الثالث: فيما يختص بليلة الدخول وما يتعلق بذلك من آداب الجماع.

21 - حُدِّد في القرآن الكريم ثلاث أوقات لا يسمح للأجنبي فيها الدخول على البيوت أو طلب أهلها، لاسيما من المؤهلين، وهي: 1- من قبل صلاة الفجر 2- وقت الظهيرة 3- بعد العشاء. وقد سميت في كتب التفسير وفي التراث الديني بالعورات الثلاث. فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية]، النور/ 56. ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب، انظر على سبيل الاستئناس: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث.

ونصح ابن كمال باشا في القسم الأول، الباب السابع: «في الأوقات التي يستحب فيها الجماع والنكاح...» بأن لا يجمع المرء على الامتلاء، أي بعد تناول الطعام الكثير، ولا يطفو ثم ينام بعد الجماع ما أمكنه، ولا يجمع على الخلوة، ويجب تجنب الجماع بعد التخمّة وبعد السفرافات القوية، من قيء وإسهال، وعند حركة البول والغائط والفسد، وفي الزمان والبلد الحارين، وأجود أوقاته في زمن الاعتدال، وينبغي التقليل منه في الصيف والخريف، وتوقيه البتة في وقت فساد الهواء والوباء والأمراض الوبائية، ولا يجمع في حالة السكر ولا عقب السهر الطويل والهجم، ولا في حال الفرح المفرط جداً. وبالجملة فليكن في أعدل الأوقات للبدن وأقلها عوارض نفسه، كما أنه لا ينبغي أن يكون عقب التعب والرياضة أو عقب التعب والحمام... وأما من كان إلى اللذة أميل إلا أنه مع ذلك يحب الثبات على الصحة فليكن في مدة لا يجد عقبه ضعفاً ولا ذبولاً في النفس ولا تغيراً...

22 - ينظر في هذا الباب، مثلاً: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نواصر الأيك في معرفة النبيك. تحقيق وتعليق، طلعت حسن عبد القوي، دار الكتاب العربي، دمشق، دون تاريخ.

23 - تناول المؤلف في هذا الكتاب الأغذية والأدوية المكثرة للباه والمُلذّة للجماع، والوصفات التي تساعد على إطالة الذكر وإنعائه وتصلبه، والأدوية المعينة على الحمل والممانعة منه...

24 - من أبواب الكتاب: - في الصفح وما فيه من الفوائد والنفع - في أصناف القوادين والقوادات وما جاء فيهم من نوادر وأشعار - في شروط الزناة وعلامات القعاب - في القحاب المتبدلات ونوادر أخبارهن وملح أشعارهن - في نوادر أخبار الزناة وملح أشعارهم وحكاياتهم - في شروط اللادة وعلامات المؤاجرين - في نوادر أخبار المرد المؤاجرين - في نوادر أخبار اللادة وملح أشعارهم - في أدب الدب ونوادر أخباره - في إتيان الإناث كما في الذكور وما قيل فيه من نوادر وأخبار وملح الأشعار - في أدب السحق والمساحقات ونوادر أخبارهن وملح الأشعار فيهن - في الخناث والمختئين وما جاء فيهم من نوادر وأخبار وملح وأشعار.

25 - من أبواب الكتاب: - آداب المفترش - ما يقوي على الباءة - معجونات الباءة - أوقات الجماع - الأحوال التي يستطاب فيها النكاح - أنواع النكاح - الاحتراس من الحمل - تلافي المضار الحادثة من إكثار الباءة - علاج الانقطاع وإعلان الذكر - في فضل الثيب على البكر - في مناهج الحيوانات - مساحة الذكر والفرج...

و"تحفة العروس ومتعة النفوس" للتجاني (ت. بعد عام 709هـ / 1309م)²⁶، و"رشد اللبيب إلى معاشره الحبيب" لابن محمد بن اليميني (ت. 731هـ / 1320م)، و"الروض العاطر في نزهة الخاطر" و"كتاب الإيضاح في علم النكاح" وكلاهما لنفزاوي²⁷، و"الإيضاح في علم النكاح" ونواضر الأيك في معرفة النيك²⁸ و"الرحمة في الطب والحكمة" وكلها لسيوطي (ت. 911هـ / 1505م)²⁹، و"رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه" لابن كمال باشا (ت. 940هـ / 1533م)³⁰، و"مقنع المحتاج في آداب الأزواج" لابن عرضون (ت. 992هـ / 1584م)³¹، وغيرها كثير جدا³².

26- من أبواب الكتاب: - الحض على النكاح والإنكار على من ترك النساء زهدا... - جلاء العروس ودخولها على الرجل وذكر جمل من آداب الجماع - الزينة والتطيب من أعظم الأسباب الموجبة لخطوة المرأة عند زوجها - زينة الرجل وما يستحب من التهيؤ لزوجته... - في تفضيل الأسنان وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان [في الأبكار والثيب وفي السمن والضمور] - في الألوان [في البياض والسمره والسواد] - في الطول والقصر - في ذكر أوصاف النساء وما ورد في ذلك [في ذكر الشعور والجهه والطمر والسوالف والحواجب والعيون والأنوف والخدود والشفاه والثلاث والثغور والأعناق والمعاصم والأعضاء والأنامل وتطريفها بالحمرة والسواد والثدي واختلاف الناس في أحجامها والخصور والعنك والسر والفرج والأرداف والسوق والأقدام] - ذكر الجماع وبيان ما فيه من المنافع والمضار وذكر أسماء من أسماء النكاح - الرهز في الجماع - في وطء الرجل في غير الفرج - في بعض مُلح المفاهات والمطايبات التي تتعلق بالنكاح...

27- اعتمدنا بالنسبة لهذين التأليفين على طبعة قديمة متداولة، وردا فيها معا على التوالي، ولم تذكر دار نشرها ولا تاريخ الطبع. (من أبواب الروض: - في المحمود من الرجال ومن النساء - في المكروه من الرجال ومن النساء - في ابتداء الجماع وكيفية ومضراته - في أسماء أيور الرجال وفروج النساء - في أيور الحيوان - في مكائد النساء - في سوالات ومنافع للنساء والرجال - - في أسباب شهوة الجماع وما يقوي عليه - فيما يستدل به على أرحام النساء - في أسباب عقم الرجال - في الأدوية التي تسقط النطفة من الرحم - لحل المعقود - فيما يكبر الذكر الصغير ويعظمه - فيما يزيل بخورة الفرج والإبط ويضيقه - في علاجات الحمل وما تلده الحامل).

28- من فصول الكتاب: - في لذات الدنيا - في دواء علة الجوى - المعروف من الجماع - حالات الجماع - حركات الذكر في الفرج - أنواع الوطء - في نكاح الخصي - في إحليل الرجل وكس المرأة - في حظوة النساء - في وصف الذكر والكمرة - في صفات الجماع - في الاستلقاء - في الاضطجاع - في الجلوس - في القيام - في الانبطاح - في الانحناء - في أنواع القبح...

29- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الرحمة في الطب والحكمة**. دار الفكر، دون تاريخ. (يتناول هذا الكتاب أمراضا كثيرة ومختلفة ولوصفات علاجها، وردت في حديقة الغساني، كوصفات علاج الأمراض الجلدية وأمراض الجهاز الهضمي وأمراض جهاز التنفسي والقلب، وأمراض الجهاز العصبي، وعلاج الحميات، والنحافة والسمنة، وأمراض الجهاز التناسلي وأوجاعه، وتقوية الجماع...).

30- ينقسم الكتاب إلى قسمين، قسم أول يشتمل على ثلاثين بابا تتعلق بأسرار الرجال وما يقويها على الباه من الأدوية والأغذية والمعاجين والخواص وما أشبه ذلك. وقسم ثان يضم كذلك ثلاثين بابا تتعلق بأسرار النساء وما يناسبها من الزينة والخضابات، وما يخضب البدن وما يسمنه، وما يطول الشعر ويسوده، وما الذي تستجلب به النساء مودات الرجال، والحكايات التي نقلت عنهن في الباه مما يحرك شهوة السامع لها، وما قيل فيهن من زيادة الشهوة وقتلها، وما نقل عنهن من الألفاظ عند الجماع مما يزيد في اللذة ويقوي الشهوة...

31- من أبواب الكتاب وفصوله: - في التزيب في النكاح والترغيب عنه وذمه. - في فوائد النكاح وآفاته وحكمه. - في الأمور التي ينظر فيها قبل العقد. - فيما يعتبر في الزوجة. - في الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده. - في آداب العشرة وما يتعلق بذلك من الأمور التي تجري في دوام النكاح. - في آداب الدخول. - في الأدوية التي تجلو الأسنان وتزيل البخير وتطيب رائحة الفم. - في الأدوية التي تعطر البدن وتعطره.

32- هناك عدد هائل من كتب التراث العربي-الإسلامي التي تتناول موضوع الجنس، ورد ذكر كثير منها في الكتب المعتمدة أو المشار إليها في هذه الدراسة، إلا أننا نحيل مع ذلك على بعض منها، وهي كالآتي: كتاب الباه، للنحلي؛ العروس والعرائس

ويتكامل مع "حديقة" الغساني ويتقاطع معها أيضا العديد من عناوين مؤلفات اليوم، التي تتناول مواضيع النكاح أو الجنس وفنونه³³، سواء تناولتها من وجهة نظر دينية وأخلاقية وشرعية³⁴، أم تطرقت إليها من باب علاقة الجنس بالتغذية³⁵ أم بالعلاج بالأعشاب³⁶، وما شابه ذلك. وفي الواقع فإن كثيرا من هذه المؤلفات الحديثة ليست إلا إعادة صياغة لكتب التراث القديمة، وأحيانا بلا اجتهاد لا في المضمون ولا في الشكل.

وفي كل الأحوال فإن مؤلف الغساني ما هو إلا كتاب في علم النبات والعقار³⁷، وفي الصيدلة والطب³⁸، وعلم الأمراض والأوبئة (épidémiologie)³⁹، ولكن فائدته كبيرة جدا بالنسبة لـ "علم" الجنس وللثقافة الجنسية، والتي نقف عليها من خلال منافع

للجاحظ، القيان لابن حاجب النعمان، الإيضاح في أسرار النكاح، وجامع اللذة، لابن السمساني، والمنكاكة والمفاتحة في أصناف الجماع وآلاته، لعز الدين المسيحي...

33- راجع مثلا: محمد الباز، *حدائق المتعة: فنون الجنس عند العرب*، مكتبة النافذة، ط. 1، دار طبية للطباعة، الجيزة، مصر، 2006.

34 - راجع مثلا: فتحي يكن، *الإسلام والجنس*، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دون تاريخ. وأيضا: محمد الحامد، *نكاح المتعة في الإسلام حرام*، ترتيب وتقديم، محمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت، 1999.

35 - راجع مثلا على سبيل الاستئناس: محمد محمود عبد الله، *خير الدواء في الثوم والبصل والعسل والحبة السوداء*، منشورات دار مكتبة الحياة، ومؤسسة الخليل التجارية، بيروت، ط. 1، 1996. (يتناول هذا الكتاب لعلاج معظم الأمراض التي وردت في كتاب *حديقة الأزهار*، ومنها: الضعف الجنسي والقوة الجنسية والتناسلية والجمال...).

- محمد كمال زين الدين، *الغذاء والجنس*، دار الطلائع، مطابع ابن سينا، القاهرة، دون تاريخ. (أورد الباحث العديد من أنواع المواد النباتية التي ذكرها الغساني في الحديقة، كالجرجير والجزر والبقدونس والكرفس والخس والعب وجوز الطيب والبصل والحلبة والفواكه).

36 - راجع مثلا على سبيل الاستئناس: أيمن الحسيني، *الأعشاب والجنس: صحتك الجنسية في الأعشاب والنباتات والغذاء*. مكتبة ابن سينا، القاهرة، دون تاريخ. (أورد الباحث العديد من أنواع المواد النباتية التي ذكرها الغساني في الحديقة، كالزنجبيل والكروية والحمص والتمر وجوز الطيب والبصل والخس والجرجير والجزر والبقدونس والكرفس والبابونج والبولوط والجلجان والزعفران...).

37- إذ إن الغساني يعرض لماهية كل نبتة أو شجرة أو عقار، مبينا وواصفا جنس كل مادة وأنواعها وطبيعتها. ومما يكاد ينفرد به هذا الكتاب أن مؤلفه اصطنع منهجا خاصا لتصنيف النبات تصنيفا علميا، وهو ما يسمى اليوم بالنظام التصنيفي، فهو يعمد إلى تعيين جنس الشجيرة ونوعها، واقتدى ببعض من سبقوه من علماء النبات الذين اهتموا إلى ابتكار أسماء علمية لبعض الفصائل والأجناس، أهمها المتأخرون من واضعي المصطلحات العلمية. راجع: نظمي خليل أبو العطا، "حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار" للغساني، على الموقع الإلكتروني: www.55a.net وقد زناه بتاريخ 16 نونبر 2008 على حوالي الساعة الخامسة مساء.

38- يبين الغساني الطبيعة الطبية والصيدلية لكل مادة ومنافعها العلاجية وخواصها، وأيضا مضارها ومخاطرها بالنسبة للإنسان، لاسيما إن كانت من ذوات السموم.

39- يقدم الغساني في الحديقة وصفات علاجية لأعداد كثيرة جدا من أنواع العيوب والتشوهات والأمراض المتنوعة والمختلفة، التي تتراوح ما بين الخفيف البسيط والخطير المميت أو القاتل، وهو ما يسمح بإنجاز قاموس أو معجم مفيد لتلك الأمراض بمغرب تلك الفترة.

40- راجع: نفزاوي، *الروض العاطر*، ص. 5.

مواده الـ385 وخواصها المثبتة في كتابه⁴¹. ونظرا لصلته الوثيقة بالطب وبعلم الأوبئة والأمراض والجنس؛ فإن الكتاب يعتبر لذلك أيضا مصدرا مفيدا للغاية للمهتمين بالديمغرافيا⁴²؛ صحيح أن ما ورد فيه من الإشارات إلى الأوبئة الجارفة، التي كانت تحصد، في كل مرة، أرواح الكثير من الناس - وفي مقدمتها الطاعون - تكاد لا تذكر⁴³، لكنه في المقابل يفيد في إخراج قاموس أو معجم طبي غني⁴⁴، يشمل جرذا واسعا لمختلف أنواع ومصادر الأمغاص والأوجاع، والأمراض "المستوطنة" (endémiques) و"الوبائية" (épidémiques)، العضوية والنفسية والعصبية والعقلية، والبسيطة الخفيفة، والفتاكة المميتة، هذا ناهيك عما يتضمنه أيضا من معلومات مهمة عن أصناف المواد المخدرة والسموم، والتشوهات والعيوب، وغير ذلك من الأمراض التي كانت معروفة بالمغرب في زمان الغساني، والتي كان بعضها يتسبب للمصابين بها في إبعادهم عن المجتمع بعزلهم في "معقلات استشفائية" لاتقاء أذاهم، كالمصابين بأمراض نفسية أو عصبية⁴⁵، أو بتجميعهم في حارات خاصة، خوفا من نقلهم العدوى إلى غيرهم، كالمجذومين والمجذورين والبرصان⁴⁶، طبقا لسياسة الاحتراز المعمول بها آنذاك.

41- في الواقع هناك مواد جاءت مكررة، أو لها بدائل، أو لم يذكر لها خواص، وعددها 31، وهي كالاتي: مادة 93: دلاع؛ مادة 94: دوقو؛ مادة 194: محروث؛ مادة 220: عنب الثعلب؛ مادة 224: غُنْضُل؛ مادة 230: عَقْرِيَان؛ مادة 231: عروق صفّر؛ مادة 248: ضومران؛ مادة 249: الضرو؛ مادة 258: قردمان؛ مادة 265: قاتل أبيه؛ مادة 271: قَرْط؛ مادة 276: ريحان؛ مادة 294: ساسليون؛ مادة 309: سِبْت؛ مادة 313: سَمَار؛ مادة 314: سائلة؛ مادة 316: سَيْكَرَان؛ مادة 326: تيفاف؛ مادة 331: ثيل؛ مادة 333: ثمر؛ مادة 334: ثمر البراغيث؛ مادة 335: ثآليل الجنات؛ مادة 342: خرشف؛ مادة 359: ذريرة؛ مادة 360: ذرة؛ مادة 361: ظريفلن؛ مادة 366: غاريقون؛ مادة 367: غاسول؛ مادة 375: شاهيلوط؛ مادة 379: شعر الغول.

42- وتستمد الأبحاث في الديمغرافيا التاريخية أهميتها، بالنسبة للمؤرخين، من كون أنه يصعب تصور الحديث عن ماضي بلد ما من غير المعرفة بتطور أحواله الديمغرافية والإحاطة بالعوامل التي تؤثر في ديمغرافية هذا البلد، بالسلب أو بالإيجاب، وذلك ليس في زمن الإزم الخطيرة وحسب؛ بل وأيضاً، بشكل أكبر، في أوقات الراحة.

43- ورد ذكر الوباء والطاعون مرة واحدة فقط، وذلك في المادة 281: ريباس، ص. 257-258. ويبدو أن عدم تقديم أكثر من وصفة علاجية لهذا الوباء إما يرجع لعدم توفر علاج يقيني له في ذلك الوقت؛ إذ إن اكتشاف جرثومة الطاعون لم يتم إلا في عام 1894م على يد عالم الجراثيم (Microbiologist) والطبيب العسكري السويسري- الفرنسي ألكسندر يرسن (Alexandre YERSIN) (1863-1943)، وقد تم له هذا الإنجاز العلمي الكبير في هونغ-كونغ (Hong-Kong) الصينية. عن إنجاز أ. يرسن وترجمته، ينظر، على سبيل الاستئناس:

- Henri MOLLARET et Henri HUBERT, *Alexandre Yersin, le vainqueur de la peste*. Coll. les Inconnus de l'Histoire, Fayard, Paris, 1985.

- Henri MOLLARET et Jacqueline BROSOLETT, *Yersin un pasteurien en Indochine, Un savant une époque*. Paris, Berlin, 1993, 379 p.

44- وقد يفيد كذلك في إخراج قواميس ومعاجم للنبات والمواد الصيدلية.

45- كانت البيمارستانات، المعدة لعلاج المصابين بالأمراض العصبية والنفسية والحمقى والمعتوهين، كثيرا ما تتحول إلى مجرد ملاجئ أو معقلات لنزلاتها في فترات الأزمات، عندما يغادرها المعالجون أو تنقطع عنها الإيرادات المرتبة لها من الأوقاف أو الأعباس، كما حدث مثلا لكثير من البيمارستانات في المغرب في عصر بني وطاس، بما فيها التي في عاصمتهم فاس. فقد ذكر الوزان أنه لم يعد من البيمارستانات الكثيرة التي كانت تتوفر عليها هذه الحاضرة "غير بيمارستان واحد لا طبيب فيه ولا

وغني عن القول إن كثيرا من هذه الأمراض يشكل حواجز نفسية تفقد الشهوة، ومثبطات منفرة من الرغبة في الجنس، لأن المحبطين يشعرون غالبا بالعجز عن ممارستها؛ فيزهدون فيه مُكرهين، ويُحرّمون من الاستمتاع به مرغمين، وبسبب ذلك يُحرّم المجتمع بدوره من كثير من روافد الإخصاب والتكاثر، وتتأثر أحواله الديمغرافية سلبا. ولهذا ليس غريبا أن يتعامل الغساني في "الحديقة" مع هذا الموضوع بإيجابية كبيرة، ببعثه الآمال في نفوس المنهكين والمحبطين، من خلال تشديده على تناول طبيعة تلك الأمراض، ولاسيما منها أمراض الجهاز التناسلي والضعف الجنسي، والإعياء والإجهاد البدني والعصبي والنفسي، وحرصه على تقديم وصفات لعلاجها، وهي في معظمها وصفات بسيطة وفي تناول مختلف الشرائح.

ليس هذا وحسب؛ بل إن الغساني اهتم أيضا بما له صلة بالنظافة وبطب الجمال والتجمل للإغراء وللمتعة جنسية أفضل، وفق روافد "الثقافة الجنسية" للمجتمع وعقليته، والصور الرائجة أو المخزونة في ذاكرته الجماعية عن الجنس والعلاقات الجنسية، والتي نجد قطعها الكثيرة وأجزاءها متناثرة في "رياض الحديقة"، بين مستلقية أو مضطجعة، ومنبطحه أو منحنية، ومنصبية أو قائمة، وقاعدة أو جالسة، ومسترخية أو منكبّة على وجهها، وهكذا...

علاج. ولا يجد المريض المسكين فيه غير حجرته وطعامه ومن يخدمه إلى أن يموت أو يشفى من مرضه. وفي هذا البيمارستان حجرات مخصصة للحمقى، أي أولئك المجانين الذين يقذفون بالحجر أو يرتكبون أنواعا أخرى من الأذى، يقيدون فيها بالأغلال والسلاسل. وحواجز هذه الحجرات من جهة الممر وداخل البناية مسورة بعوارض خشبية متينة. وإذا رأى المكلف بتقديم الطعام للحمقى هياج أحدهم انهال عليه بضربات متوالية من عصا يحملها معه دائما لهذا الغرض. وقد يقترب بعض الغرباء من هذه الحجرات فيناديه الحمقى ويشكون إليه استمرار حجزهم في السجن رغم شفافهم من حمقهم، وما يتعرضون له من كثرة سوء معاملة حراسهم كل يوم. وإذا صدّق المار كلام أحدهم واتكأ على جانب نافذة حجرته، مد الأحمق إليه يده وأمسك بتلابيبه ولطّخ بيده الأخرى وجهه بالغاظ، لأن هؤلاء الحمقى، وإن كانت لهم ميسآت، يتغوطون غالبا في وسط الحجرة، وعلى الحراس أن ينظفوا هذه الأقدار باستمرار. ولذلك فإنهم ينتهون الغرباء أن يأخذوا حذرهم ولا يقتربوا كثيرا من هذه الحجرات...". محمد الحسن الوزان، وصف إفريقيّا، الجزء الأول، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1980 و1982، ص. 180-181. وغني عن التذكير بأن ظاهرة الحمق والجنون والأمراض العصبية والنفسية تنتشر بشكل مريع أثناء الأزمات المختلفة، وكم كانت كثيرة جدا في تاريخ المغرب. وفي هذا الصدد يمكن مراجعة ما أثبتناه في الإحالات الأولى لهذه الدراسة من أعمال حول الكوارث والأوبئة والمجاعات وغيرها.

46- كان البرص يعتبر من الأمراض المعدية، وكانت بعض المدن المغربية تخصص حارات بضواحيها للمصابين بالبرص والجذام والجذري. وقد ذكر الوزان أنه كان من بين أرباض فاس ريش خاص بهذه الفئة من المرضى، يحتوي على حوالي مائة دار، ولهم رئيس يتكفل بجمع الأملاك الكثيرة الموقوفة عليهم من الأعيان والمحسنين، ويُقدّم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري، فلا يحتاجون إلى شيء، ويقوم رؤساؤهم بتخليص المدينة من كل مجذوم، ولهم السلطة لإخراج كل من رأوه مصابا بهذا الداء من المدينة وإسكانه بحارة المجذومين. وإذا هلك مجذوم ولم يترك وارثا آل نصف تركته إلى جماعة الحارة، والنصف الآخر لمن دلّ عليه. وإذا كان للهالك المجذوم أبناء ورثوا أباهم، نفسه، ج. 1، ص. 215-216.

ولذلك فإننا عندما نقوم بعملية تجميع لأجزاء موضوع هذه الصورة، نجدها منسجمة تماما مع الصور النمطية الشائعة أو الغالبة في التراث المغربي وروافده العربية-الإسلامية عامة، وتستجيب لشروطها. غير أن أجزاء الموضوع تلك لا تتعلق بالممارسة الجنسية ذاتها، وإنما بالوصفات الدقيقة التي تقترحها للتمتع بصفات الجاذبية والإثارة والإغراء، والتي تتجسد في الأنوثة أو الفحولة، والهيئة والقوام، واللون والملح، والسلامة من العيوب والأمراض والعلل. وغير خاف أن هذه المزايا، وأخرى غيرها⁴⁷، ما هي إلا تلك المقدمات الممهدة المثيرة للنفس والمهيئة للشهوة، لأنها تغري بالاندفاع الغريزي نحو الجنس الآخر وتطلبه، ليس فقط لمجرد الاستمتاع، وإنما وبشكل أخص بحثا عن "اللباس المناسب"⁴⁸ الذي يتحقق معه للقرينيين التوافق الجنسي والإشباع التام، لتغمرهما السعادة والنشوة معا، وتحصل بينهما السكينة والمودة والرحمة⁴⁹؛ وإذا حصل المراد قلّ الخلاف والتلاؤم، ليصدق من قال⁵⁰:

إذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد**

لكن، ما طبيعة الصورة النمطية التي شغلت الغساني فغدا يقوم عيوبها وعللها حتى تكتسب الجاذبية التي تسر الناظرين وتستأثر بالألباب والنهي؟

ثانيا - التطبيب والتجميل لأية حياة جنسية في "حديقة" الغساني؟

الواقع أن كل ما جاء في "الحديقة"، من وصفات⁵¹ مفيدة للجمال والتجمل، أو ما ورد منها لعلاج العيوب والعلل ذات العلاقة بالحياة الجنسية، نجده مُتَّصَمًا، إلى مستوى التطابق، في العديد من عناوين فصول وأبواب كتب الباه والتربية الجنسية وشبهها، مما أدرجنا بعضه أعلاه للاستئناس، وهذا ليس بالأمر الغريب، ما دام أن تلك

47- نعني الحالة البدنية والجسدية ومفاتيح الجنس الآخر، التي يسترها اللباس، وكذلك ما قد تتمتع به الأطراف من التعبير عن الرغبة الجامحة في ممارسة الجنس بقوة واندفاع، وعند البعض من غير قيود أو طابوات أو أفكار مسبقة، أو احترام لما يعتبر، في تراث الأديان أو في أعراف البعض، من المحرمات الجنسية.

48- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَجَلْ لَكُمْ تَيْلَّةُ الضَّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ هُنَّ لَكُمْ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾. البقرة، الآية 186.

49- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. الروم، الآية 20.

50- نعني هنا أن حصول الألفة الشديدة بين زوجين أو محبوبين، لاسيما بسبب التوافق في الجنس والإشباع والإرضاء، تقلل كثيرا من بذور النزاعات المترتبة عن كثير من المشاكل والأمراض والعيوب الجنسية، ومن ثم يصعب على المحرضين توسيع الشق بين الزوجين. وقد اقتبسنا الفكرة من بيت شعري ورد في القصة التاريخية لجورجي زيدان، فتاة غسان، وهو:

إذا تألفت القلوب على الهوى *** فالناس تضرب في حديد بارد

51- لم تكن هناك أدلة صحيحة على أن تلك الصفات كلها نافعة أو ناجعة، لذلك ميز الغساني بين ما هو مجرب منها وبين ما هو وهم أو خرافة. لاسيما تلك التي استقاها من الرواية الشفوية، لذلك أوردنا من باب: "قيل" أو "زعموا". راجع، الغساني، حديقة الأزهار، مادة 30، ص. 36؛ ومادة 135، ص. 127؛ ومواد أخرى.

الأجناس من المؤلفات تشكل مصادر أدبية وأخلاقية وموضوعاتية مهمة بالنسبة لكتب العشب والعقار عامة، تماماً كما أن هذه الأخيرة تمثل مصدراً طبيًا وصيدلياً رئيساً لتلك الأجناس، وهو ما يؤكد ذلك التقاطع والتكامل بينها، كما نبهنا على ذلك أعلاه. لكن ما هي الجوانب أو المواضيع التي تتعلق بالجمال والتجمل والممارسة الجنسية وطقوسها، التي يمكن استخراجها من رحاب "الحديقة"؟

قبل الغوص في الإجابة عن هذا التساؤل، نلفت الانتباه إلى أن معظم وصفات "حديقتنا"، الخاصة ببحثنا هذا، يتعلق بالعناية بجمال المرأة وحسن مظهرها الخارجي أكثر من اهتمامها بهيئة الرجل؛ وهذا ليس غريباً، فالمؤلف رجل، وطبيعي أن يهتم أكثر بما يحبه في الأنثى، ومن ثم فهو يعكس وجهة النظر الذكورية، التي يتفق فيها مع كثيرين من العارفين من أمثاله بعالم الجمال ممن وضعوا لهذا الغرض أبواباً أو فصولاً "في معرفة ما يكون في النساء من الأوصاف الجميلة في أعضائهن"⁵²، وذلك لأن جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها - حسب هؤلاء العارفين - هو الداعي للرجل إلى وطئها، وأجلب لشهوته عند النظر إليها، وألذ لحواسه في حال مصاحبتها، لهذا كان لا بد من العناية أولاً بما يُحمد أكثر فيها، أي وجهها وبدنها⁵³.

ولا يخفى أن الخبراء والمطلعين قالوا أشياء كثيرة جداً في ما يُحمد في المرأة؛ فقد قالوا إن ما يُحمد فيها من السواد أربعة أشياء: بياض لونها، وبياض عينها، وبياض أسنانها، وبياض فرقها. ومن الحمرة أربعة أشياء: حمرة اللسان، وحمرة الشفتين، وحمرة الوجنتين، وحمرة الآليتين. ومن الطول أربعة أشياء: طول العنق، وطول القامة، وطول الشعر، وطول الحاجب. ومن السعة في أربعة مواضع: في الجبهة، والعين، والصدر، وتدوير الوجه. ومن الضيق في موضع واحد: وهو الفرج. ومن الصغر أربعة مواضع: في الفم، والكعبين، والقدمين، والثديين. وينبغي أن يكون كرسي الركبتين مستوياً، والركبة مستوية متشاكلة، ويكون القد معتدلاً حسن الاعتدال، لا قصف مفرط ولا سمن مفرط. ويكون اللحم صلباً. وأما اللون فيكون إما بياضاً بجمرة، وإما سمرة بجمرة. وتكون الأطراف حسناً رطبة، والروحانية خفيفة. وتكون مليحة الضحك؛ فإنه أول ما تستجلب به المرأة مودة زوجها. ويكون الطرف أدعج، والثغر أفليج. ويكون الحاجب أزج، والكفل مرتج. وتكون رحيمة الكلام، شهية النعمة. وأن

52- انظر: ابن كمال باشا، رجوع الشيخ إلى صباه، القسم الثاني، الباب الأول: في معرفة ما يكون في النساء من الأوصاف الجميلة في أعضائهن.

53- نفسه.

تكون عظامها غائبة؛ فلا يبين منها شيء، ولا عروقتها بارزة، ونحيفة الخصر⁵⁴. فهل من دواء نافع وحافظ لكل ما ورد فيه عند الطبيب الغساني؟

هذا ما سنحاول أن نقتفي أثره في هذا المقام، عاملين بنصيحة هذا القول الذي يعتبر أن أول ما تُختبر فيه المرأة بالنسبة للرجل قَوَامُها وقدها، ونضارة بشرتها ولونها، والحالة التي تكون عليها عيونها وثغرها وشعرها، وما إلى ذلك مما يفيد أيضا الذكور لاسيما من حيث حُسن المنظر ومعالم الفحولة. فما السبيل للتمتع بجمال هذه المواصفات وحسنها، وما السبيل للحصول عليها؟

1 - صفات تتعلق بالجمال الخارجي:

- القد والقوام: نرصد في التراث العربي والإسلامي - شعره ونثره - عدة أذواق في شأن القد والقوام، إنما يهيمن عليها استحسان القد المعتدل، وطول القامة والعنق، مع ضخامة الأرداف ولطافة الخصور؛ فهذا البكري، المتنعم في حضارة الأندلس، لم يفته أن يصف، ما انتهى إلى سمعه، من أوصاف جمال أعضاء نساء أودغشت، في عمق الصحراء، ومن ذلك أنهم «منشنيات القدود، لا تنكسر لهن نهود، لطاف الخصور، ضخام الأرداف، واسعات الأكتاف»⁵⁵. ونقل عن أحدهم قوله إنه رأى: «امرأة راقدة على جنبها، وكذلك يفعلن في أكثر حالهن، إشفاقا من الجلوس على أردافهن، ورأى ولدها طفلا يلعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها»⁵⁶. وفي وصف شبيه بهذا، أنشد ميمون بن قيس الأعشى⁵⁷:

هَزُكُولَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الزَّمَلِ أَسْفَلُهَا *** مَكْسُوءَةٌ مِنْ جَمَالِ الْحُسْنِ جَلْبَابَا
يَمِيلُ جَنْبًا عَلَى الْمَتْنَيْنِ ذَا خُصْلٍ *** يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكَ وَتَطْيَابَا
رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ، خُمُصَانَةٌ رَدَحٌ *** قَدْ أَشْرَبَتْ مِثْلَ مَاءِ الدَّرِّ إِشْرَابَا
وَأَنْشَدَ أَيْضًا⁵⁸:

54- ابن كمال باشا، رجوع الشيخ إلى صباه، القسم الثاني، الباب الأول: في معرفة ما يكون في النساء من الأوصاف الجميلة في أعضائهن.

55- أبو عبيد عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (قسم من المسالك والممالك)، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ، ص. 158.

56- نفسه، ص. 159.

57- كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى والأعشى الآخرين. مطبعة آذلف هلهوسن، بيانة، 1927، ص. 229-228.

58- نفسه، ص. 42.

غَرَاءَ فَرْعَاءَ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا *** تَمْشِي الْهُوْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِل
مِلءَ الشُّعَارِ وَصَفْرُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةً *** إِذَا تَأْتَى يَكَادُ الْخِضَرُ يَنْخَزِلُ
وَأُنْشَدَ كَذَلِكَ⁵⁹:

لَهَا قَدَمٌ رَيَّا سَاطِ بَنَانُهَا *** قَدْ اغْتَدَلَتْ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبْتَلٍ
وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمَ مَوْراً عَلَيْهِمَا *** إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا الْمُتَصَلِّصِ
إِذَا التَّمَسَّتْ أَرْبَيْتَاهَا تَسَابَدَتْ *** لَهَا الْكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ الْخَلْقِ مُقْضِلٍ
إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ *** مِنَ الْحُسْنِ ظَلاً فَوْقَ خَلْقٍ مُكْمَلٍ
إِذَا انْبَطَحَتْ جَانِي عَنْ الْأَرْضِ جَنْبِهَا *** وَخَوَى بِهَا رَابٌ كَهَامَةٍ جُئِلٍ
إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُتَبَذَّلٌ *** فَتَنْعَمُ فَرَاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَذَّلِ

أما حالات النحافة والهزال والضعف، التي تبدو معها العظام والعروق؛ فكانت مما يُزهد فيه في الغالب. ولعلاج الأجسام النحيفة، قدم الغساني مجموعة من الأدوية والنصائح ووصفات للتسمين، وذلك ضمن العديد من المواد التي أوردها في "الحديقة"⁶⁰، وعيا منه بأهمية المشكلة من الناحية الجمالية وعواقبها الاجتماعية وآثارها النفسية، حسب معايير عصره، ولاسيما بالنسبة للمرأة.

- حسن الوجه ونضارة البشرة: إن جمال الخلقة هو الذي إذا نظرت إليه سرّك وأغراك، ومما يُحمد منه حسن الوجه وصفاء لون بشرته ونضارته⁶¹، وجمال العيون وطول الحواجب، وصغر الفم وبياض الأسنان ونصاعتها، وحمرة الشفتين والوجنتين، وتناسق حروف الوجه، مع نظافة تامة وسلامة من الأمراض والعيوب والتشوهات، التي ذكر الغساني كثيرا من أنواعها، وقَدَمَ، في الآن نفسه، أدوية ووصفات ومستحضرات علاجية لها.

ومن بين الأمراض والعيوب التي تعيب جمال الوجه والبشرة، وقد تُنفّر من صاحبه، هناك: عدسيات الوجه⁶² وتهيج⁶³، والنملة⁶⁴ والديلات⁶⁵، والنمش⁶⁶ والبهق⁶⁷

59- كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس، ص. 225.

60- أورد الغساني وصفات للتسمين وعلاج النحافة والمشبهة للطعام. حديقة الأزهار، راجع المواد الحاملة للأرقام الآتية: 3، 11، 24، 27، 37، 38، 45، 56، 72، 76، 116، 118، 139، 155، 156، 177، 232، 273، 299، 304، 303، 338...

61- انظر: ابن كمال باشا، رجوع الشيخ إلى صباه، القسم الثاني، الباب الثالث: "في معرفة الأدوية المحسنة للون البشرة".

62- حول عدسيات الوجه، راجع: الغساني، حديقة، المادة: 256.

63- حول تهيج الوجه، راجع: نفسه، المادة: 177.

64- راجع: نفسه، المادة: 41 ومواد أخرى.

65- راجع: نفسه، المادة: 121 ومواد أخرى.

66- راجع: نفسه، المواد التالية: 72، 77، 107، 108، 177، 233، 295 ومواد أخرى.

والكلف⁶⁸، والوضح⁶⁹ والبرص⁷⁰، وفساد اللون⁷¹ أو صفرة البشرة⁷² وحمرتها⁷³، والوشم⁷⁴ والثآليل⁷⁵، والبثور والأورام⁷⁶، وآثار القروح⁷⁷، والحزاز⁷⁸ وحروق النار⁷⁹ وحروق الماء الساخن⁸⁰.

ولم يكتف الغساني بهذه الأمراض والعيوب التي تشوه منظر البشرة ونسيجها؛ بل إنه قدّم أيضاً صفات أخرى كثيرة مفيدة لتنظيف الوجه وغسله وتنقيته من أدرانه وإزالة تشنُّجها⁸¹، وأخرى نافعة للبشرة ومفيدة لتنقيتها⁸²، وإكساب لونها الحمرة⁸³، أو تفتيحها وتلطيفه⁸⁴، وتصفيته وتحسينه⁸⁵.

والجدير بالذكر أن معظم هذه الأدوية والوصفات والمستحضرات بسيط، لاحظ الغساني وفرته في المدين كما في البوادي، تماماً كما الحال بالنسبة لوصفات علاجية لأنواع أخرى من الأمراض المختلفة والتشوهات⁸⁶.

- الفم والحلق والأسنان: نظرا لحساسية الفم وقابليته للإصابة بالعفونات والأمراض، يحرص الناس عادة، والنساء خاصة، على الاعتناء بمظهره بالحرص على نظافته وطيب نكهته، وبياض أسنانه ومحاربة صفرتها⁸⁷، حتى يتمتع المرء بجاذبية وسحر. وقد أنشد امرؤ القيس⁸⁸ واصفا ثغرا، فقال:

67- راجع: نفسه، المواد التالية: 49، 107، 108، 128، 197، 235، 270 ومواد أخرى.

68- راجع: نفسه، المواد التالية: 121، 127، 133، 141، 177، 233، 270، 295 ومواد أخرى.

69- راجع: نفسه، المادة 107. والوضح: من البرص. راجع: ابن منظور، لسان العرب المحيط، مادة: وضح.

70- راجع: الغساني، حديقة، المواد التالية: 63، 108، 128 ومواد أخرى.

71- راجع: نفسه، المادة: 50 ومواد أخرى.

72- راجع: المكان نفسه 50 ومواد أخرى.

73- راجع: نفسه، المواد التالية: 41، 55، 295 ومواد أخرى.

74- راجع: نفسه، المادة: 63.

75- راجع: نفسه، المادة: 63 ومواد أخرى.

76- راجع: نفسه، المواد التالية: 55، 107، 322 ومواد أخرى.

77- راجع: نفسه، المادة: 55 ومواد أخرى.

78- راجع: نفسه، المادة: 121 ومواد أخرى.

79- راجع: نفسه، المواد: 92، 121 ومواد أخرى.

80- راجع: نفسه، المادة: 295.

81- راجع: نفسه، المادة: 295 ومواد أخرى.

82- راجع: نفسه، المواد التالية: 51، 155، 290 ومواد أخرى.

83- راجع: نفسه، المواد التالية: 49، 155 ومواد أخرى.

84- راجع: نفسه، المواد: 105، 108 ومواد أخرى.

85- راجع: نفسه، المواد: 103، 153، 108، 111، 114، 155، 121، 252، 287، 290.

86- راجع: نفسه، مواد أخرى.

87 - قال شاعر في وصف الثغر، أي الأسنان الصفرة:

بشجر كمثل الأقحوان منور *** نقي الثنايا أشنب غير أتعل
ومن أبيات الأعشى⁸⁹:

وتضحك عن غر الثنايا كأنه *** ذرى أقحوان نبتته لم يُفلل
وأنشد عبيد بن الأبرص⁹⁰:

إذا دُقتَ فاهَا قُلْتَ: طعم مدامة *** مُشعشة تُرخي الإزار قديح
وأنشد قيس⁹¹:

أنيري مكان البدر إن أفل البدر *** وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها *** وليس لها منك التبسم والثغر

وفي هذا الصدد أورد الغساني مجموعة من الوصفات المطهرة للفم أو الواقية له من العفونات، وقدم أيضا مواد كثيرة لعلاج الأمراض التي تصيب الفم والأسنان، ذكر منها: رائحة الفم الكريهة⁹²، وعفونته⁹³ ولهيبه⁹⁴، وقروح⁹⁵ وأورامه وبثور⁹⁶ وصلاباته⁹⁷، وسيلان الرطوبة الفاسدة إلى اللسان⁹⁸، وتقرُّح اللثة⁹⁹ وتعفنها¹⁰⁰، واسترخاؤها¹⁰¹ ورطوبتها¹⁰²، وأورامها الحارة والصلبة¹⁰³، وثفل الدم¹⁰⁴، والسّمج العارض من الثفل¹⁰⁵.

ولا عيوض تُنَزَّر الضحك بعدما *** جَلَّتْ بُرْقُعًا عن ثُغْرٍ متناصل

أورده ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثُغْرٍ.

88- من معلقة امرؤ القيس الصادرة ضمن ديوانه، ضبط وتصحيح، مصطفى عبد الشافي، بيروت، 1983، ص. 113.

89- الصباح المنير، ص. 226.

90- ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، 1958، ص. 46.

91- ديوان قيس بن الملوح، رواية أبي بكر الوابي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص. 106.

92- راجع: الغساني، حديقة، المادة: 14 ومواد أخرى.

93- راجع: نفسه، المواد: 166، 287 ومواد أخرى.

94- راجع: نفسه، المادة: 170 ومواد أخرى.

95- راجع: نفسه، المواد: 20، 57، 123، 164، 210، 232 ومواد أخرى.

96- راجع: نفسه، المواد: 133، 323 ومواد أخرى.

97- راجع: نفسه، المادة: 177 ومواد أخرى.

98- راجع: نفسه، المادة: 227 ومواد أخرى.

99- راجع: نفسه، المادة: 304 ومواد أخرى.

100- راجع: نفسه، المادة: 305 ومواد أخرى.

101- راجع: نفسه، المواد: 218، 287 ومواد أخرى.

102- راجع: نفسه، المادة: 227 ومواد أخرى.

103- راجع: نفسه، المواد: 132، 162، 166، 243، 304، 348.

104- راجع: نفسه، المادة: 151 ومواد أخرى.

105- راجع: نفسه، المادة: 126 ومواد أخرى.

وبخصوص أمراض الحلق أورد الغساني مجموعة من الأدوية النافعة من أورام اللوزتين¹⁰⁶، وانقطاع الصوت¹⁰⁷ والخوانق¹⁰⁸، والبحج¹⁰⁹، وخشونة الحلق¹¹⁰، ورطوبته¹¹¹، وأمراضه¹¹²، وأورامه¹¹³ وأوجاعه¹¹⁴، وإسقاط العلق منه¹¹⁵، والبلبة الكائنة فيه¹¹⁶ والذبحة¹¹⁷، وسقوط اللهاة¹¹⁸ أو غلظها¹¹⁹ أو تنفُّطها¹²⁰.

ولما كانت أمراض الأسنان والأضراس المختلفة منتشرة بكثرة في المغرب، كما لاحظ ذلك الوزان¹²¹ مثلا، لم يفت الغساني أن يهتم بهذا الموضوع؛ فقدم وصفات كثيرة لعلاج آلامها¹²² وضربانها¹²³ وتحركها¹²⁴، وتسوسها¹²⁵ وعفونتها¹²⁶، وتأكلها¹²⁷ وتحفُّرها¹²⁸ وتفتتها¹²⁹، أو محاربة الدود الذي يتربى فيها¹³⁰. كما قدم عدة أدوية

106- راجع: نفسه، المواد التالية: 41، 48، 130 ومواد أخرى.

107- راجع: نفسه، المواد التالية: 134، 165.

108- راجع: نفسه، المواد التالية: 134، 348 ومواد أخرى.

109- راجع: نفسه، المادة: 177 ومواد أخرى.

110- راجع: م نفسه، المواد: 125، 154 ومواد أخرى.

111- راجع: نفسه، المادة: 113 ومواد أخرى.

112- راجع: نفسه، المادة: 348 ومواد أخرى.

113- راجع: نفسه، المواد: 99، 120، 139 ومواد أخرى.

114- راجع: نفسه، المواد: 88، 134، 139، 177، 179، 350.

115- راجع: نفسه، المواد: 88، 134، 139، 179 ومواد أخرى.

116- راجع: نفسه، المادة: 217 ومواد أخرى.

117- راجع: م نفسه، المادة: 348 ومواد أخرى.

118- راجع: نفسه، المادة: 217.

119- راجع: نفسه، المادة: 227.

120- راجع: نفسه، المادة: 283.

121- لاحظ الوزان أن سكان بلاد النخيل عامة يُعمرون طويلا، "لكنهم يفقدون أسنانهم (...)" ويأتي سقوط الأسنان من كونهم يأكلون التمر على الدوام. "وصف إفريقي، ج. 1، ص. 66. وقال بخصوص باقي المغرب: "وتكثر أمراض الأسنان التي يظن أنها ناشئة عن كون هؤلاء القوم يشربون الماء البارد فور تناولهم الحساء الحار". نفسه، ج. 1، ص. 67.

122- راجع: الغساني، حديقة، المواد: 4، 16، 28، 47، 55، 57، 92، 105، 111، 122، 126، 132، 135، 143، 144، 145، 147، 156، 161، 171، 180، 208، 217، 237، 305، 323، 327، 353، 354، 377.

123- راجع: نفسه، المادة: 327 ومواد أخرى.

124- راجع: نفسه، المواد: 109-217 ومواد أخرى.

125- راجع: نفسه، المادة: 122 ومواد أخرى.

126- راجع: نفسه، المادة: 143 ومواد أخرى.

127- راجع: نفسه، المواد: 28، 134، 144، 207، 214، 227، 259، 327.

128- راجع: نفسه، المواد: 64، 304 ومواد أخرى.

129- راجع: نفسه، المادة: 143 ومواد أخرى.

130- راجع: نفسه، المادة: 327 ومواد أخرى.

ومستحضرات أخرى نافعة للأسنان بشكل عام¹³¹، مفيدة لحفظها وصيانتها¹³²، أو لتنقيتها من أدرانها¹³³ أو جعلها أكثر جلاء وبياضاً¹³⁴، أو لتسهيل قلع الوجيعة منها¹³⁵.

وأورد الغساني، للعناية بالمظهر الخارجي للفم وللشفتين ولمنظر الأسنان، عدة مواد مفيدة لصبغ الفم والاستيك¹³⁶، ولتطبيب نكهة الفم¹³⁷. ونظرا لما تحدثه الروائح الكريهة المنبعثة من الأفواه من إزعاج وإحراج بين الناس عامة والأزواج خاصة، تضمنت "الحديقة" كذلك عدة وصفات وإرشادات أخرى مفيدة للتخلص من روائح الفم القذرة المنبعثة من المعدة¹³⁸، أو المزعجة الناتجة عن بعض المواد الغذائية، كالثوم¹³⁹ والبصل¹⁴⁰. هذا عدا أدوية أخرى نافعة لبعض الأمراض أو التشوهات مثل الفالج¹⁴¹ واللقوة¹⁴².

- العيون والأشفار والأجفان: إذا كان الوجه الحسن مما يسلب العقول فإن نظرات العيون تنفذ توا إلى القلوب، محملة برسائل كثيرا ما تكون سبب بداية السقوط في شرك الهوى، وصدق من قال: "نظرة فابتسامة، فموعد فلقاء". وباختصار إن للعين جاذبية لا تقاوم، ونظراتها لغة كلها سحر وأسرار، لذلك افتتن الناس بجمالها وتغنوا وألفوا ونظموا، ولذلك اعتنوا بما يجعلها أكثر جمالا وإشراقا، وبما يحافظ على سلامتها من الأمراض، وهو الدور الذي اعتنى به الأطباء خاصة.

وفي هذا السياق تناول الغساني عددا كبيرا من تلك الأمراض التي تصيب العيون وتفقد جاذبيتها وتأثيرها، وقدم لعلاجها مجموعة من الأدوية والوصفات، نذكر منها، على سبيل المثال، تلك المفيدة لتتوء العين¹⁴³ ولتقوية بصرها¹⁴⁴، أو

131- راجع: نفسه، المواد: 46، 245 ومواد أخرى.

132- راجع: نفسه، المادة: 89 ومواد أخرى.

133- راجع: نفسه، المادة: 327 ومواد أخرى.

134- قدم الغساني عدة أدوية ووصفات لجعل الأسنان أكثر بياضا وجلاء. راجع: الغساني، حديقة، المواد: 64، 327 ومواد أخرى.

135- راجع: نفسه، المواد: 4، 122، 382.

136- راجع: نفسه، المادة: 373 ومواد أخرى.

137- راجع: نفسه، المواد: 60، 77، 139، 147، 166، 226، 240، 262، 267، 298، 302، 349، 356، ومواد أخرى.

138- راجع: نفسه، المواد: 116، 240 ومواد أخرى.

139- راجع: نفسه، المواد: 116، 286 ومواد أخرى.

140- راجع: نفسه، المواد: 116، 286.

141- راجع: نفسه، المواد: 59، 70، 76.

142- راجع: نفسه، المواد: 59، 141، 289.

143- راجع: نفسه، المادة: 218 ومواد أخرى.

لحمايتها من الأوساخ¹⁴⁵ ومن الاسترخاء¹⁴⁶، والالتهابات¹⁴⁷ والآثار الحادثة فيها¹⁴⁸. ومنها أيضا المفيدة للمحافظة على سلامة العيون من العوارض والأوجاع¹⁴⁹، ولعلاج الدمعة¹⁵⁰ والنوازل¹⁵¹، والرطوبة¹⁵² والضربان¹⁵³، والطرفة¹⁵⁴، والكُمّة¹⁵⁵، والظفيرة¹⁵⁶، والنواصير¹⁵⁷، والزرقّة المكتسبة من الأمراض¹⁵⁸، والقروح¹⁵⁹ والأورام¹⁶⁰ والبثور¹⁶¹، والجرب¹⁶²، والرمد¹⁶³، والبلة¹⁶⁴، والغشاوة¹⁶⁵، والظلمة¹⁶⁶، والبياض¹⁶⁷ وأمراض القرنية¹⁶⁸ أو غلظها¹⁶⁹، وخشونة الأجفان¹⁷⁰ وغلظها¹⁷¹، والنفخ والتشنج الذي يصيبها¹⁷²، أو انتثار الأشفار وتآكل المآقي¹⁷³، وأخرى لازقة للشعر النابت في الجفن¹⁷⁴، وغيرها.

-
- 144- راجع: نفسه، المواد: 24، 77، 119، 129، 134، 150، 152، 154، 160، 161، 177، 180، 183، 205، 214، 237، 242، 252، 260، 272، 275، 281، 286، 290، 303، 344، 352.
145- راجع: نفسه، المادة: 64 ومواد أخرى.
146- راجع: نفسه، المادة: 103 ومواد أخرى.
147- راجع: نفسه، المادة: 245 ومواد أخرى.
148- راجع: نفسه، المواد: 180، 191، 233، 303، 310.
149- راجع: نفسه، المواد: 125، 142، 210.
150- راجع: نفسه، المواد: 31، 150 ومواد أخرى.
151- راجع: نفسه، المواد: 19، 49، 92، 114، 216، 275.
152- راجع: نفسه، المواد: 33، 95، 113، 114 ومواد أخرى.
153- راجع: نفسه، المادة: 286.
154- (نقطة دم حمراء تحدث في العين). راجع: نفسه، المادة: 121 ومواد أخرى.
155- راجع: نفسه، المواد: 9، 304 ومواد أخرى.
156- راجع: نفسه، المواد: 144، 296.
157- راجع: نفسه، المادة: 338 ومواد أخرى.
158- راجع: نفسه، المادة: 114.
159- راجع: نفسه، المواد: 31، 167، 191، 206، 210، 343، 365.
160- راجع: نفسه، المواد: 1، 133، 210، 299، 302.
161- راجع: نفسه، المادة: 32 ومواد أخرى.
162- راجع: نفسه، المواد: 17، 133، 254 ومواد أخرى.
163- راجع: نفسه، المواد: 2، 17، 19، 37، 92، 99، 124، 133، 168، 171، 198، 372.
164- راجع: نفسه، المواد: 17، 211 ومواد أخرى.
165- راجع: نفسه، المواد: 17، 95، 114، 133، 207، 214، 272، 281، 310، 346، 368.
166- راجع: نفسه، المواد: 64، 95، 109، 113، 145، 152، 167، 244، 260، 310.
167- راجع: نفسه، المواد: 17، 33، 49، 64، 77، 99، 108، 183، 191، 219، 368.
168- راجع: نفسه، المواد: 22، 133.
169- راجع: نفسه، المادة: 108 ومواد أخرى.
170- راجع: نفسه، المواد: 191، 33 ومواد أخرى.
171- راجع: نفسه، المادة: 105 ومواد أخرى.
172- راجع: نفسه، المادة: 336 ومواد أخرى.
173- راجع: نفسه، المادة: 208 ومواد أخرى.
174- راجع: نفسه، المادة: 285 ومواد أخرى.

- الأنف: يمكن القول إنه إذا كانت الأسنان تعتبر مثل الدرر في الثغر؛ فإن الأنف في الوجه كالعقد على النحر أو الصدر، لاسيما إذا كان متناسقا مع حروف الوجه وقسماته. فهل في هذا السياق يأتي اهتمام التراث الطبي بالأنف والعناية به والمحافظة عليه من بعض التشوهات والأمراض والعفونات؟

مهما يكن من أمر فقد تعرض الغساني لعدد من تلك التشوهات والأمراض التي تصيب الأنف وقد تلحق به بعض العيوب، ونصح بمجموعة من الأدوية وبوصفات علاج جيدة لنتن الأنف¹⁷⁵ وعقوئته¹⁷⁶ وقروح¹⁷⁷، وإزالة اللحم النابت فيه¹⁷⁸، وتحليل الرياح من المنخرين¹⁷⁹، وجذب الفضول منهما¹⁸⁰، وتفتيح سدود الخياشيم¹⁸¹، وعلاج النزلات¹⁸² وغير ذلك مما يؤدي الأنف وشكله ومنظره أو يزعج الناس.

- شعر الرأس واللحية: يعتبر الشعر من معايير الحسن والجمال، وهذا ما يفسر سر العناية الفائقة به، ليس من قبل النساء فقط؛ بل وكذلك من قبل الرجال. ولهذا كان من الطبيعي جدا أن يهتم الأطباء والصيدالو والمعالجون بأمره وصحته وجماله.

وفي هذا السياق قدم الغساني وصفات وأدوية وطلاءات نافعة للعديد من الأمراض التي تفسد الشعر وجلد الرأس، كحب القرع¹⁸³، وداء الثعلب¹⁸⁴، والقلاع¹⁸⁵، والقواوي¹⁸⁶، والقروح¹⁸⁷، وآثار القروح¹⁸⁸، والبثور¹⁸⁹، علاوة على تنقية الرأس من الأدران المختلفة¹⁹⁰.

175- راجع: نفسه، المادة: 89 ومواد أخرى.

176- راجع: نفسه، المادة: 287 ومواد أخرى.

177- راجع: نفسه، المواد: 210، 289 ومواد أخرى.

178- راجع: نفسه، المادة: 311 ومواد أخرى.

179- راجع: نفسه، المادة: 160 ومواد أخرى.

180- راجع: نفسه، المادة: 232 ومواد أخرى.

181- راجع: نفسه، المواد: 160، 195 ومواد أخرى.

182- راجع: نفسه، المادة: 350 ومواد أخرى.

183- راجع: نفسه، المواد: 68، 80، 128 ومواد أخرى.

184- راجع: نفسه، المواد: 5، 7، 25، 49، 59، 117، 134، 147، 197، 216.

185- راجع: نفسه، المواد: 2، 40، 42، 52، 57، 89، 109، 138، 139، 164، 166، 168، 171، 170، 186، 191، 218، 219.

186- راجع: نفسه، المواد: 13، 14، 95، 107، 118، 144، 147، 151، 167، 184، 186، 207، 212، 214.

187- راجع: نفسه، المواد: 95، 207 ومواد أخرى.

188- راجع: نفسه، المادة: 121 ومواد أخرى.

189- راجع: نفسه، المادة: 132 ومواد أخرى.

190- راجع: نفسه، المواد: 49، 128 ومواد أخرى.

وتضمنت "الحديقة" كذلك مادة مفيدة جدا لإصلاح الشعر وتحسينه، ومستحضرات كثيرة، منها ما يُطوّل الشعر¹⁹¹ أو يُقوّيه ويكثّفه ويكثّره ويحفظه من الآفات¹⁹²، ومنها ما يُليّن¹⁹³، أو يُنبته نباتا حسنا¹⁹⁴، وبعضها صابغ له¹⁹⁵، أو يُسوّد¹⁹⁶، أو يدخل في خضب الشعر¹⁹⁷، وبعضها الآخر مفيد لشّد أصول الشعر المعرض للتساقط ولمسكه ومنعه من التناثر¹⁹⁸، أو مساعد على إنباته في المواضع المصابة بداء الثعلب¹⁹⁹، أو مانع من سرعة الشيب إليه²⁰⁰.. بل إن من ضمن هذه المواد ما يساعد كذلك على سرعة انتشار الشيب²⁰¹، لمن يرغب في ذلك طبعاً، ويريد اكتساب الوقار.

ولما كانت اللحية ذات الشعر من سمات الرجولة وكمالها، فقد تضمنت "الحديقة" كذلك عدة وصفات أخرى تساعد على إنبات اللحية البطيئة الإنبات²⁰²، ومفيدة للمردان ومن قد يظهرون فسيولوجيا غير مكتملي الرجولة.

- الآذان: قد لا تمثل الأذن أية جاذبية لكثير منا، ولذلك فإننا قد لا نعتز إلا على القليل من الإشارات إلى أهمية هذا العضو الرهيف عند الشعراء أو في مقاييس الجمال. ولكن العناية بصحة الأذن وسلامتها ضرورية في جلسات الأُنس والمعاشرة، ولذلك وجب حمايتها بتعهدّها بالنظافة وتنقيتها من أدرانها وأوساخها²⁰³، والعمل على علاجها مما يلحق بها من آفات وعوارض وأمراض²⁰⁴ مثل الأوجاع والآلام والصداع²⁰⁵، والريح العارض فيها²⁰⁶ والقروح²⁰⁷، والسيلان والرطوبات²⁰⁸، والمدة والقيح

191- راجع: نفسه، المواد: 59، 200.

192- راجع: نفسه، المواد: 176، 200.

193- راجع: نفسه، المادة: 200 ومواد أخرى.

194- راجع: نفسه، المادة: 59 ومواد أخرى.

195- راجع: نفسه، المادة: 164 ومواد أخرى.

196- راجع: نفسه، المواد: 304، 368.

197- راجع: نفسه، المادة: 365.

198- راجع: نفسه، المواد: 112، 118، 200، 298، 307.

199- راجع: نفسه، المواد: 49، 59، 197.

200- راجع: نفسه، المادة: 109.

201- راجع: نفسه، المادة: 168.

202- راجع: نفسه، المواد: 255، 372.

203- راجع: نفسه، المادة: 160 ومواد أخرى.

204- راجع: نفسه، المادة: 210 ومواد أخرى.

205- راجع: نفسه، المواد: 18، 55، 67، 130، 171، 173، 176، 177، 251، 289، 338، 350.

206- راجع: نفسه، المادة: 67 ومواد أخرى.

207- راجع: نفسه، المادة: 215 ومواد أخرى.

208- راجع: م نفسه، المادة: 109 ومواد أخرى.

والصديد والماء²⁰⁹، والدود²¹⁰، والأورام الظاهرة في أصول الأذن أو تحتها²¹¹، والنملة والحمرة التي تحت الأذن²¹²، والطين والدوي²¹³، وغير ذلك مما يقلق راحة البال ويشوش الفكر ويشتته أو ينفر من المصاب نفسه.

- الكفوف والأيدي والأرجل والأظافر: تحتاج الكفوف إلى أن تتسم بالليونة والنعومة بصفاتها حاسة للمس، ولأن مهمتها، في اللقاءات العاطفية، تصبح أساسية، لاسيما عندما تتعطل لغة الكلام والهمس، وتستتر الجفون رسائل نظرات العيون، وتتسبب بدل ذلك لغة اللمس. ولذلك تقدم "الحديقة" عدة وصفات علاجية ودهونات وأخلاط نافعة من تشقق الكفين وخشونتها²¹⁴، وأدوية مفيدة في علاج بياض الأظفار²¹⁵ أو تشققها²¹⁶ أو تنقيتها من الرطوبات المحتقنة فيها²¹⁷. وهذه الدهون والأخلاط والأدوية نافعة أيضا للأرجل؛ إذ تفيد كذلك في علاج شقاقها خشونتها وتشقق أظفارها والرطوبة المحتقنة فيها، وتجلو بياضها، تماما كالـكفوف²¹⁸.

2 - وصفات تتعلق بالجمال الداخلي

أ - سلامة البدن من العيوب والأمراض والعناية بنظافته

- العناية بنظافة البدن: تعتبر نظافة البدن من المقدمات الممهدة للترغيب في المباشرة الجنسية ونجاح الجماع والاستمتاع به، كما يتضح ذلك من مختلف أدبيات التربية الجنسية. وتزخر كتب العشب والعقار عامة بوصف الكثير من الأدوية التي تساعد على ذلك. وفي هذا الباب نجد في "الحديقة" العديد من الوصفات التي تقاوم السمج²¹⁹، ورائحة البدن وتنت العرق²²⁰، وتخلص من الصئبان والقمل²²¹.

209- راجع: نفسه، المواد: 19، 48.

210- راجع: نفسه، المواد: 156، 215، 232، 338.

211- راجع: نفسه، المواد: 41، 126، 132، 171، 336.

212- راجع: نفسه، المواد: 41، 171.

213- راجع: نفسه، المواد: 48، 111، 122، 177، 350، 353.

214- راجع: نفسه، المواد: 183، 292، 305.

215- راجع: نفسه، المادة: 183 ومواد أخرى.

216- راجع: نفسه، المادة: 147 ومواد أخرى.

217- راجع: نفسه، المادة: 133.

218- راجع المواد المفيدة لعلاج الكفوف وتشققها وخشونتها وجلاء بياض الأظافر وتشققها وعلاج الرطوبة المحتقنة فيها. نفسه، مواد أخرى.

219- السمج: ما خبث طعمه ورائحته. راجع: نفسه، المواد: 126، 225. ومواد أخرى.

- السلامة من الأمراض الجلدية: تعج بعض المصادر بإشارات كثيرة إلى أمراض جلدية مختلفة ومتنوعة مقززة؛ إذ إن العديد منها يمثل عيوباً يصعب احتمالها؛ بل ويصيب بالأمراض الجلدية المعدية والعفنة أو التي ينتج عنها تشوهات.

ويقدم الغساني، في هذا الباب، وصفات وأدوية كثيرة للعلاج أو للوقاية من بعض الأوبئة²²² أو من أمراض جلدية خطيرة كالجدري²²³ والجدام²²⁴ والجرب²²⁵، والحكة²²⁶، أو كالتقشر²²⁷، والتنطف²²⁸، والنملة²²⁹، والنار الساعية²³⁰ والشهيدة²³¹ والفارسية²³²، والأكلة²³³، والبثور²³⁴، والحسك²³⁵، أو كالبرص²³⁶ والبهق بأنواعه²³⁷، والنمش²³⁸ والكلف²³⁹، والحمرة والشرى²⁴⁰، والكمودة²⁴¹، وشقاق البرد²⁴²، والثآليل²⁴³، والحزاز²⁴⁴، والخراج²⁴⁵ والأورام المختلفة²⁴⁶، والديبلات²⁴⁷، والصلابات²⁴⁸،

-
- 220- راجع: نفسه، المواد: 121-256. وكثيراً ما خصصت كتب الباه وغيرها عناوين في هذا الباب، منها الباب الثالث من القسم الثاني الذي جعله صاحب "رجوع الشيخ إلى صباه": "في معرفة الأدوية التي تطيب رائحة البدن والثياب من المرأة الجالبة لمودة الرجال وتمنع من در البول والعرق عند النوم وتنفع من نثر الإبطين".
- 221- راجع: الغساني، حديقة، المواد: 117، 135، 186، 328 ومواد أخرى.
- 222- ومن بينها الطاعون. راجع: نفسه، المادة: 281.
- 223- راجع: نفسه، المواد: 28، 32، 57.
- 224- راجع: نفسه، المواد: 63، 103.
- 225- راجع: نفسه، المواد: 33، 90، 107، 118، 144، 147، 151، 160، 162، 184، 207، 214.
- 226- راجع: نفسه، المواد: 23، 36، 90، 107، 117، 155.
- 227- راجع: نفسه، المواد: 90، 92، 110.
- 228- راجع: نفسه، المواد: 125، 145.
- 229- راجع: نفسه، المواد: 41، 57، 77، 133، 137، 152، 159، 161، 171، 205، 215، 218.
- 230- راجع: نفسه، المادة: 171 ومواد أخرى.
- 231- راجع: نفسه، المواد: 155.
- 232- راجع: نفسه، المواد: 118، 144، 155، 171.
- 233- راجع: نفسه، المواد: 125، 144.
- 234- راجع: نفسه، المواد: 120، 142، 155، 179، 216.
- 235- راجع: نفسه، المواد: 193، 350.
- 236- راجع: نفسه، المواد: 14، 63، 92، 108، 128، 142، 152، 155، 184، 201 ومواد أخرى.
- 237- راجع: نفسه، المواد: 49، 107، 108، 128، 155، 160، 184، 197، 201 ومواد أخرى.
- 238- راجع: نفسه، المواد: 72، 107، 162، 177، 206 ومواد أخرى.
- 239- راجع: نفسه، المواد: 107، 121، 133، 141، 155، 162، 177، 204، 206 ومواد أخرى.
- 240- راجع: نفسه، المواد: 3، 11، 16، 18، 41، 55، 57، 142، 171، 189، 209، 215، 218، 219 ومواد أخرى.
- 241- راجع: نفسه، المواد: 317.
- 242- راجع: نفسه، المواد: 20، 147، 155، 297 ومواد أخرى.
- 243- راجع: نفسه، المواد: 49، 63، 105، 129، 147، 205 ومواد أخرى.
- 244- راجع: نفسه، المواد: 117، 121، 203 ومواد أخرى.
- 245- الخراج: ما يخرج في البدن من القروح والأرام. ابن منظور، لسان العرب، مادة: خرج.

والرطوبات²⁴⁹، والقروح²⁵⁰ وآثارها²⁵¹، والدماويل²⁵²، والعفونات²⁵³، والخنازير²⁵⁴، وداء الثعلب²⁵⁵، وداء الفيل²⁵⁶ والدوالي²⁵⁷، والنواصير²⁵⁸، والوثة²⁵⁹، واللحم الزائد²⁶⁰، والجروح المختلفة²⁶¹، والكيموسات²⁶²، والسحج²⁶³، والدااحس²⁶⁴، والحروق بالنار²⁶⁵ والحروق بالماء الساخن²⁶⁶، والعظام العارية عن اللحم²⁶⁷، والآثار الظاهرة في البطن وظاهر الجلد²⁶⁸، واللحم الرخو²⁶⁹، وما إلى ذلك.

وهناك أيضا صفات لعلاج الكثير من مثل هذه الأمراض والعيوب، وأدوية أخرى مختلفة لصيانة الجلد والبشرة وتنقيتها من أنواع الأدران وما يصفى اللون ويحافظ على نضارته²⁷⁰ ويحمي من الألوان الغريبة في البدن²⁷¹.

-
- 246- راجع: نفسه، المواد: 9، 23، 32، 34، 41، 76، 96، 104، 105، 109، 123، 124، 131، 137، 148، 162، 168، 171، 189، 196، 198، 209 ومواد أخرى.
- 247- راجع: نفسه، المواد: 4، 44، 57، 121، 142 ومواد أخرى.
- 248- راجع: نفسه، المواد: 4، 12، 60، 87، 146، 150، 156 ومواد أخرى.
- 249- راجع: نفسه، المواد: 43، 64، 89، 133، 139، 152، 201 ومواد أخرى.
- 250- راجع: نفسه، المواد: 28، 32، 36، 48، 52، 64، 76، 97، 104، 110، 133، 134، 144، 159، 162، 166، 167، 171، 176، 208 ومواد أخرى.
- 251- راجع: نفسه، المواد: 121 ومواد أخرى.
- 252- راجع: نفسه، المواد: 67، 118 ومواد أخرى.
- 253- راجع: نفسه، المواد: 8، 95، 133 ومواد أخرى.
- 254- راجع: نفسه، المواد: 9، 12، 44، 46، 57، 142، 156، 171، 216 ومواد أخرى.
- 255- راجع: نفسه، المادة: 171.
- 256- راجع: نفسه، المواد: 5، 7، 25، 49، 59، 117، 134، 147، 197، 216 ومواد أخرى. وهناك أيضا: داء الثعلب البلغمي والمزمن، راجع: نفسه، وعلى التوالي المواد: 63، 186.
- 257- راجع: نفسه، المواد: 171-232.
- 258- راجع: نفسه، المواد: 40-210 ومواد أخرى.
- 259- الوثة: وضم يصيب اللحم. راجع: نفسه، المواد: 19، 81 ومواد أخرى.
- 260- راجع: نفسه، المواد: 31، 64 ومواد أخرى.
- 261- راجع: نفسه، المواد: 4، 13، 16، 18، 19، 36، 41، 52، 75، 91، 92، 97، 102، 123، 134، 147، 150، 159، 167، 174، 176، 193، 215 ومواد أخرى.
- 262- راجع: نفسه، المواد: 29، 43، 144، 185، 199 ومواد أخرى.
- 263- راجع: نفسه، المواد: 40، 52، 60، 97، 191، 208 ومواد أخرى.
- 264- راجع: م نفسه، المواد: 20، 57، 109 ومواد أخرى.
- 265- راجع: نفسه، المواد: 3، 31، 57، 92، 102، 104، 121، 123، 145، 171، 173، 174، 182، 211 ومواد أخرى.
- 266- راجع: نفسه، المادة: 208 ومواد أخرى.
- 267- راجع: نفسه، المواد: 12، 191 ومواد أخرى.
- 268- راجع: نفسه، المواد: 5، 155، 177 ومواد أخرى.
- 269- راجع: نفسه، المادة: 383.
- 270- راجع: نفسه، المواد: 29، 51، 121، 290، 296 ومواد أخرى.
- 271- راجع: نفسه، المادة: 233 ومواد أخرى.

ب - العناية بالفروج ومحيطاتها وأدوية الباه وتكثير المنى: تتناول المواد المقدمة في "الحديقة" موضوع الفروج من جانبيين اثنين، يهتم أولهما بعلاج ما يصيبها من أمراض أو تشوهات وعيوب تمهيدا لإيلاج ممتع وجماع طيب، بينما يتناول ثانيهما وصفات نافعة للباه أو مفيدة لتقوية الشهوة.

- علاج الفروج ومحيطاتها: يقدم الغساني، في هذا الباب، مواد كثيرة، منها ما يردع نتوء الرحم وبروزه²⁷²، ومنها ما هو جيد لتنقيته ولانضمامه وقبضه²⁷³، أو مفيد في علاج اختناقه أو أوجاعه وأمراضه²⁷⁴، أو برده²⁷⁵، أو أورامه²⁷⁶، وإسقاط الثآليل منه²⁷⁷، وتحليل النفخ العارض فيه وعلاج صلابته²⁷⁸ أو قطع سيلانه²⁷⁹، وقطع سيلان الرطوبات المختلفة والإسهال السائل منه²⁸⁰، أو قطع نزف الدم منه ونفثه ودم الحيض²⁸¹. هذا علاوة على ما يفيد كذلك في علاج السمج وتنشيف رطوبة الأرحام²⁸² وفش الرياح المنبعثة منها²⁸³.

وهناك مواد أخرى تفيد الرحم كثيرا، لاسيما أثناء الجماع، ومنها التي تعالج اتساعه وزلقه²⁸⁴، أو تساعد على تفتيحه وتهيينه لقبول المنى وتعالج سدده²⁸⁵، أو تقطع الحكمة منه²⁸⁶، هذا عدا عن تلك التي تعالج احتباس الطمث وكمودة الدم الميت²⁸⁷، أو تدر الحيض²⁸⁸، أو الطمث بالنسبة لمن أمسكن عنه من النساء²⁸⁹، أو تنقي فضول الرحم من النفساء²⁹⁰.

272- راجع: نفسه، المواد: 20، 87.

273- راجع: نفسه، المواد: 60، 87، 121، 142، 147، 159، 237، 300، 301.

274- راجع: نفسه، المواد: 23، 29، 34، 62، 95، 108، 121، 123، 124، 177، 195، 196، 228، 250، 259، 263، 279، 284، 376، 373، 362.

275- راجع: نفسه، المادة: 287.

276- راجع: نفسه، المواد: 1، 23، 95، 121، 176، 177، 256، 260.

277- راجع: نفسه، المادة: 74.

278- تحليل راجع: نفسه، المواد: 82، 111، 114، 177، 295، 338.

279- راجع: نفسه، المواد: 1، 6، 23، 28، 95، 121، 126، 177، 197.

280- راجع: نفسه، المواد: 6، 9، 86، 133، 197، 218، 330، 351.

281- راجع: نفسه، المواد: 35، 44، 125، 215، 300، 304، 383.

282- راجع: نفسه، المواد: 20، 62، 304.

283- راجع: نفسه، المواد: 98، 116.

284- راجع: نفسه، المادة: 303.

285- راجع: نفسه، المواد: 4، 34.

286- راجع: نفسه، المادة: 36 ومواد أخرى.

287- راجع: نفسه، المادة: 260 ومواد أخرى.

288- راجع: نفسه، المادة: 292 ومواد أخرى.

وبالنسبة لفروج الرجال أورد الغساني مجموعة من الوصفات لقطع الحكمة منها²⁹¹، أو لعلاج أورام الذكر²⁹² وأمراض الأنثيين المختلفة²⁹³، والمذي من غير جماع²⁹⁴، علاوة على مشاكل كثرة البول²⁹⁵، أو تقطيره²⁹⁶ أو عسره وحرقته²⁹⁷، وبول الصديد والقريح²⁹⁸، أو المفيدة في إدرار البول²⁹⁹، وما إلى ذلك.

وقدم الغساني كذلك ما يفيد بعض الأمراض المحيطة بالفروج، ومنها أدوية لعلاج أورام الدبر³⁰⁰، وتواء المقعدة وبروزها³⁰¹ واسترخائها³⁰² وأوجاعها³⁰³ وأورامها³⁰⁴ وإسقاط الدود منها³⁰⁵، إضافة إلى وصفات لعلاج البواسير وأوجاعها الظاهرة والباطنة وسيلانها³⁰⁶ وإسهال الدم³⁰⁷.

- الأدوية والمستحضرات المكثرة للمني والمنشطة للشهوة والمفيدة للجماع: تحتاج المباشرة الجنسية إلى طاقة كبيرة وراحة نفسية، سواء كان ذلك لأجل الإنجاب أم لمجرد الاستمتاع، وفي هذا الباب يعج كتاب الغساني بوصفات عديدة تكسب الفحولة والقدرة على الجماع وتعالج الضعف الجنسي، ولذلك نجد منها ما هو مفيد لتحريك شهوة الجماع وإنهاضه وتهيجته وتقويته والإعانة عليه³⁰⁸، أو نافع لإصلاح

-
- 289- راجع: نفسه، المادة: 10 ومواد أخرى.
290- راجع: نفسه، المواد: 110، 234 ومواد أخرى.
291- راجع: نفسه، المادة: 36 ومواد أخرى.
292- راجع: نفسه، المواد: 210 ومواد أخرى.
293- راجع: نفسه، المادة: 1 ومواد أخرى.
294- راجع: نفسه، المادة: 4 ومواد أخرى.
295- راجع: نفسه، المواد: 52، 364 ومواد أخرى.
296- راجع: نفسه، المواد: 108، 260 ومواد أخرى.
297- راجع: نفسه، المواد: 3، 29، 33، 64، 77، 89، 101، 120، 147، 154، 177، 182، 188، 201، 336.
298- راجع: نفسه، المادة: 123 ومواد أخرى.
299- راجع: نفسه، المواد: 3، 5، 6، 9، 10، 15، 22، 23، 33، 35، 36، 37، 42، 44، 51، 58، 59 ومواد أخرى.
300- راجع: نفسه، المادة: 210 ومواد أخرى.
301- راجع: نفسه، المواد: 20، 37، 87، 216.
302- راجع: نفسه، المواد: 87، 364.
303- راجع: نفسه، المواد: 23، 87 ومواد أخرى.
304- راجع: نفسه، المواد: 1، 133، 223، 227، 336، 347، 378.
305- راجع: نفسه، المادة: 370.
306- راجع: نفسه، المواد: 9، 24، 26، 57، 63، 87، 121، 130، 134، 139، 144، 156، 174، 184، 192، 199، 218، 287، 373، 376 ومواد أخرى.
307- راجع: نفسه، المواد: 20-218-273.
308- راجع: نفسه، المواد: 6، 59، 71، 108، 127، 172، 238، 252، 254، 256، 272، 277، 345، 349، 381.

الباءة والزيادة فيها وتهيجها³⁰⁹، أو الزيادة في المنى³¹⁰، أو صالح لتقوية الإنعاظ وشدته والزيادة فيه³¹¹. ومنها أيضا ما يذهب الإعياء والإجهاد العضلي والبدني والنفسي³¹² والأرق³¹³، أو ينفع من الهم والغم ويفرح للقلب³¹⁴.

كما أورد الغساني كذلك مواد مطيبة للنفس والفم والنكهة مزيلة للبخر³¹⁵، وأخرى ملذذة للمنكوحة³¹⁶ أو مانعة للاحتلام لأنه هدر للطاقة الجنسية والنسل³¹⁷، أو مساعدة على تسخين الأرحام³¹⁸ وتسخين الأبدان³¹⁹.

- الأدوية النافعة من بعض الأمراض والرياح والروائح الكريهة المنبعثة من البطن قبل الجماع وخلاله: يتم الحرص عادة على ممارسة الجنس في أجواء سليمة خالية من بعض الأعراض التي قد تؤثر سلبا في النفوس وقد تؤدي أحيانا حتى إلى الإحباط، وقد تتعلق هذه الأعراض، في كثير من الأحيان، بالرياح المنبعثة من البطن. ولذلك فقد تضمنت "الحديقة" صفات لتنقية المعدة وتنشيفها³²⁰ وتطيبها³²¹، ولتسكين القراقر³²² ومحللة للرياح ومفيدة لتكسيروها ومفشية لها من المعدة والأمعاء³²³، ومستحضرات لعلاج النفخ العارض في المعدة والبطن³²⁴.

كما أتى الغساني كذلك بمجموعة من المواد والأدوية النافعة من أوجاع المعدة والمغص³²⁵، والعاقلة والحابسة أو الماسكة للبطن³²⁶، أو النافعة من استطلاق البطن³²⁷

-
- 309- راجع: نفسه، المواد: 4، 22، 24، 27، 49، 56، 71، 96، 101، 108، 113، 114، 117، 118، 120، 132، 147، 156، 172، 174، 198، 238، 244، 254، 275، 291، 292، 315، 328، 338، 345، 349، 356، 381.
- 310- راجع: نفسه، المواد: 22، 45، 49، 72، 101، 127، 132، 172، 187، 238، 349.
- 311- راجع: نفسه، المواد: 7، 22، 72، 127، 272، 328، 349، 381.
- 312- راجع: نفسه، المواد: 12، 34، 166، 179، 285.
- 313- راجع: نفسه، المواد: 350، 351.
- 314- راجع: نفسه، المواد: 321، 356 ومواد أخرى.
- 315- راجع: نفسه، المادة: 356 ومواد أخرى.
- 316- راجع: نفسه، المادة: 166.
- 317- راجع: نفسه، المواد: 57، 197، 232، 343.
- 318- راجع: نفسه، المادة: 272.
- 319- راجع: نفسه، المادة: 244.
- 320- راجع: نفسه، المواد: 62، 103، 108، 113، 118، 183، 200، 226.
- 321- راجع: نفسه، المادة: 11 ومواد أخرى.
- 322- القراقر: ج. قرقرة، وهي صوت البطن. راجع: نفسه، ص. 152، إحالة 1. (المحقق)، والمادة: 163.
- 323- راجع: نفسه، المواد: 10، 59، 78، 85، 96، 101، 108، 115، 116، 134، 139، 150، 151، 200، 226، 272، 278، 286، 287.
- 324- راجع: نفسه، المواد: 17، 34، 59، 76، 108، 150.
- 325- راجع: نفسه، المواد: 25، 29، 150، 183، 226.

ومن الاستسقاء³²⁸ والرخى والإسهال بأنواعه³²⁹ وأخرى ناجعة لحرقة المعدة وتوقدها والتهابها³³⁰ ولتسكين القيء أو حبسه³³¹؛ بل وحتى لتسكين الفواق العارض من الامتلاء أو من غيره³³².

ج - إعداد الأجواء الملائمة للممارسة الجنسية: تحتاج الرغبة في الجماع إلى الجو الملائم لتحقيق هذه الغريزة الطبيعية، ومن ذلك إعداد المحيط والمكان بتزيينهما وتجميلهما لإدخال البهجة على الأهل. ونقف في "الحديقة" على بعض التدابير التي كانت تتخذ لتزيين المنازل، كغرس الأحباق (Les pots)³³³، أو تعطير المكان والأبدان ببعض أنواع النبات ذات الرائحة الزكية أو استعمالها في أخلاط الطيب والغوالي³³⁴، وأيضاً تعطير الثياب بمواد معطرة³³⁵ والبيوت بالبخور³³⁶.

وهناك أيضاً مواد أخرى كثيرة ومستحضرات خاصة بنظافة المنازل وطرد الهوام³³⁷ والوزغ³³⁸ والقران³³⁹ والحشرات كالقمل والصئبان³⁴⁰ أو الذباب³⁴¹ والبراغيث³⁴² والبق³⁴³.

د - معطيات حول الحمل وموانعه والتخلص من الأجنة: تقدم "الحديقة"، كما مر قبل قليل، أدوية ووصفات كثيرة ومختلفة تتعلق بتقوية الفحولة أو تعالج مشاكل الضعف الجنسي، لبلوغ الاستمتاع وحياة جنسية طبيعية. ولكن لما كانت الغاية من الجنس أيضاً التنازل والإنجاب، لذا فإن مصدرنا يقدم كذلك أدوية ووسائل

326- راجع: نفسه، المواد: 2، 3، 6، 20، 22، 23، 24، 27، 35، 52، 57، 61، 73، 77، 87، 97، 112، 115، 117.

327- راجع: نفسه، المواد: 47، 50، 167، 173، 202، 218.

328- راجع: نفسه، المواد: 10، 25، 26، 33، 95، 111، 132، 134، 180، 182، 206.

329- راجع: نفسه، المواد: 5، 18، 22، 64، 66، 70، 80، 86، 112، 121، 134، 153، 155، 160، 191، 216، 307.

330- راجع: نفسه، المواد: 39، 148، 187.

331- راجع: نفسه، المواد: 14، 34، 77، 112، 116، 272.

332- راجع: نفسه، المواد: 86، 103، 376.

333- راجع: نفسه، المواد: 5، 141، 336 ومواد أخرى.

334- راجع: نفسه، المواد: 22، 23، 156، 307.

335- راجع: نفسه، المادة: 302 ومواد أخرى.

336- راجع: نفسه، المادة: 315.

337- راجع: نفسه، المواد: 26، 118، 228، 259.

338- راجع: نفسه، المادة: 7.

339- راجع: نفسه.

340- راجع: نفسه، المواد: 28، 117، 135، 186، 198، 328.

341- راجع: نفسه، المادة: 7.

342- راجع: نفسه، المادة: 143 ومواد أخرى.

343- راجع: نفسه، المادة: 143.

قيمة تفيد سواء الراغب في الحصول على الولد أم الذي لا يهمله من المباشرة غير الاستمتاع، أو لا يرغب في الولد لسبب اقتصادي أو اجتماعي أو لغير ذلك من الأسباب. ولذلك فإننا نقسم الأدوية والوصفات، المقدمة هنا، إلى الآتي:

- أدوية مفيدة للإنجاب والتناسل: نسجل في هذا الباب أدوية تعين على الحمل³⁴⁴، أو نافعة للحامل³⁴⁵، أو مفيدة لوجع الجنين³⁴⁶، أو نافعة من عسر الحمل³⁴⁷، أو تساعد المرأة في حالة الطلق³⁴⁸، أو تفيد في جذب الجنين من الرحم³⁴⁹، وكذلك أدوية تساعد على غزارة اللبن وتكثيره بالنسبة للمرضعة³⁵⁰، أو نافعة من تجبن اللبن في الثدي³⁵¹، أو نافعة من أمراض الثدي وأورامه وقروحه وبثره³⁵².

- أدوية مانعة للإنجاب والتناسل: نسجل في هذا المقام أدوية نافعة من كثرة الاحتلام ومكسرة لشهوة الباء³⁵³، أو قاطعة للباءة³⁵⁴، أو مجففة للمني أو مسكنة لشهوة الجماع أو قاطعة للنسل³⁵⁵، أو مفسدة للمني حيث تخرجه إثر جماع³⁵⁶، أو مانعة الحمل أو قاتلة للجنين³⁵⁷.

كما أن هناك أدوية ومستحضرات أخرى، منها ما يفسد الجنين³⁵⁸ ومنها التي تلحق به أضرار³⁵⁹، أو تقتله أو تسقطه أو تخرجه من الرحم ميتا أو حيا، كما تخرج أيضا المشيمة³⁶⁰.

344- راجع: نفسه، المادة: 347 ومواد أخرى.

345- راجع: نفسه، المواد: 303، 348.

346- راجع: نفسه، المادة: 193 ومواد أخرى.

347- راجع: نفسه، المواد: 71، 101.

348- راجع: نفسه، المادة: 383.

349- راجع: نفسه، المادة: 303 ومواد أخرى.

350- راجع: نفسه، المواد: 40، 337، 338، 368، 380.

351- راجع: نفسه، المواد: 48، 193.

352- راجع: نفسه، المواد: 48، 155، 299، 336، 347، 383.

353- راجع: نفسه، المادة: 162 ومواد أخرى.

354- راجع: نفسه، المادة: 168 ومواد أخرى.

355- راجع: نفسه، المواد: 337، 343، 370.

356- راجع: نفسه، المواد: 152، 343.

357- راجع: نفسه، المادة: 30 ومواد أخرى.

358- راجع: نفسه، المادة: 306 ومواد أخرى.

359- راجع: نفسه، المادة: 7.

360- راجع: نفسه، المواد: 26، 34، 36، 42، 62، 82، 110، 118، 132، 142، 143، 147، 151، 160، 176، 191، 195، 198.

207، 214، 216، 235، 250، 251، 255، 259، 262، 292، 310، 317، 328.

لقد تبين بوضوح من هذه الدراسة، التي اعتمدنا فيها بالأساس على "حديقة الأزهار" للغساني أن كتب العشب والعقار يمكن اعتمادها مصدرا من مصادر البحث في الديمغرافيا التاريخية، تماما كما هو الحال بالنسبة لأصناف أخرى من المؤلفات التي سقنا بعض النماذج منها خلال دراستنا هاته. وقد اتضح جليا أن مصدرنا هذا قدم لنا معلومات مفيدة وغزيرة ارتقينا بها تدريجيا عبر المستويات المتتالية والمتصاعدة في عالم الجاذبية والإثارة والإعداد النفسي والبدني نحو علاقات عاطفية ومباشرة جنسية صحية وسليمة، مقتفين في ذلك أثر من خبرها ممن سبقونا وتركوا لنا في شأنها تراثا مدونا وشفويا فمتح منه اليوم ونغرب، سواء من لمجرد البحث والدراسة أم لتلقي تربية جنسية مجربة ومتوازنة أم للاطلاع والتسلية لا غير.

إلا أن ما يهمنا أكثر هنا هو لفت الانتباه إلى ضرورة تعميق البحث في الجهود والإجراءات والوسائل التي كانت تلجأ إليها المجتمعات كافة، والمجتمع المغربي خاصة، بعيد الأزمات الديمغرافية مباشرة من أجل تعويض الخسائر البشرية التي كانت تخلفها الكوارث الطبيعية والبشرية المختلفة، آملين أن تحظى ملاحظتنا بعناية الباحثين كاعتنائهم بالكوارث ووسائل مواجهتها، قبل أو أثناء وقوعها، لاسيما وقد تبين من هذا العمل أن المادة العلمية متوفرة ومتنوعة، وتتيح معالجة الموضوع من نواح كثيرة، ناهيك عما فيه من جدة وطرافة.